سُلَامَة المُحرَّف من الزيادة والخِذف

د. فضيل حسن عباسي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نزل كتابه محكم الآيات، قرآناً عربياً غير ذي عوج، والصلاة والسلام على نبي الهدى، الرحمة المهدأة، والنعمة الممدة، سيدنا محمد وعلى آل وصحابه، والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فإن من أخطر القضية الفكرية، تلك المتعلقة بكتاب الله تبارك وتعالى، وهي متشعبة الأوجه، متعددة النواحي، بعضها ينجه إلى جانب اللفظ، وبعضها يكنتف جانب المعنى.

وأما زاد القضية خطورة عناية كثير من غير المسلمين بالدراسات القرآنية، أو من المسلمين الذين يجدون مثلهم في أولئك المستشرقين، ومن هذه القضايا قضية الزيادة في كتاب الله تعالى، وهذه الزيادة كانت بادئ ذي بدء قضية اصطلاحية تخص الحروف وحدها، أو بعض الكلمات المفردات من أسماء وأفعال، ثم تشعب الأمر فيها لتشمل الجمل والتركيب.

ويشبه القول بالزيادة، القول بالخِذف، وكلاهما ليس أقل خطراً من الآخر.

لذا آثرت أن أتقدم بهذا البحث، أعلج فيه قضية الزيادة، قضية الخِذف، وسأخصص الحديث فيه عن الحروف فحسب، لأن جلّ ما قبل بزيادته أو حذفه يتعلق بالحروف، هذا أولاً، وأما ثانياً: فلان هذه الأقوال قد شاعت وانتشارت في
كتبنا اللغوية وال نحوية عامة، بل في ترويتنا التفسيرية خاصة، فكثيراً ما نجد هذه الأقوال زيادة و حذافاً في مصادر النحو، ومراجع التفسير.

وهناك سبب ثالث، وهو أن أمر الحرف ذو صلة و ثيقة بفضية الإعجاز، ذلك لأن لكل حرف رسالته في كتاب الله تعالى، فالقول بزيادته يجرده من خصائصه وصلاحياته، ومن ثم يجرد اللفظ من معناه، مما يذهب Bravo النظم.

أما القول ب حذف بعض الحروف، فلا يقل خطأ عن القول بالزيادة بل هما من حيث النتيجة سواء، وذلك لأن لكل حرف معناه، فإذا أردنا أن نقدر حرفنا ندعي أن الآية قد خلت منه، وأنه قد حذف منها، فمعنى ذلك أننا سنزيد معنا في الآية على غير ما يقتضيه نظمها.

وثمة سبب رابع، وهو أنني لم أجد بحثا مستقلًا لهذه القضية الخطيرة الشان.

وبسبب خامس، وهو ما استغلنا الحاقدون على الإسلام، مستغرين ومستغرين من مثل هذه الأقوال، التي قيلت أول ماقيلت عن حسن نية، نتيجة لتشاذم مذهبي.

وقد جعلته في تمهيد وفصلين.

أما التمهيد فأتحدث فيه عن مقدمات تظهر منها دقة اللغة في استعمال الحرف، وأما الفصل الأول ف سأخصصه للحديث عن الزيداء، كما سأخصص الفصل الثاني للحديث عن الحذف.

والله أعلم أن يفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي ووالدي وذوي الحقوق عليهم، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على مسنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
فهيد

للعرب أوضاع عجيبة في لغتهم، إفرادا وتركيبة، فقد يتقلون من معنى إلى معنى آخر بأقصر الطرق، وأيسر التكاليف، وربما كان بين المعنيين بون شاسع، قد يكون هذا الانتقال بتغيير حرف واحد، ألا ترى إلى ما بين الفصل والوصل من بعد، وكذلك الحنف والجعف، لأن الحنف إذا هو الميل إلى الحق، والجعف الميل إلى الباطل، وكذلك الفنق والرث، فأن ترى أن هذه المعاني المتبدعة كان الانتقال من أحدها إلى الآخر بتغيير حرف واحد.

وقد يكون هذا التغيير بواسطة حركة، لا بواسطة حرف ألا ترى إلى قولهم: هَمْرَةٌ ومُرَةٌ، وضَحْكَةٌ وضَحْكَةٌ، فهي بالسكن من يهم ويضحك منه، ولكنها بالفتح تقال لِن يهم الناس ويضحك منهم. فالتعالى: "وَنَبَلُّ نَبَلٌ مِّنْ عُرْفَتِيْنَ مَرَّتِينَ" [المجرة: 5].

وقد يكون التغيير التحول من معنى إلى معنى بواسطة التنوين، ألا ترى أنهم يفرعون بين قولهم: هذا مكرمُ أنك، ومكرمُ أسليك، فيجعلون الأول من وضع منه الإكرام فعلا، وليس كذلك الثاني، إلى غير ما هنالك من الأمور الدقيقة الكثيرة المعجبة أشياء في هذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريم.

والذي يعنيك الآن الحديث عن حروف المعاني، وعني بها الحروف التي وضعها العرب ليؤدي كل منها معنى في الجملة التي وضع فيها، كحروف العطف والجر، ذلك لأن هذه الحروف هي التي أدعو حذفها تارة وزيادتها أخرى.

وستدرك أن دراسة هذه الحروف دراسة موضوعية تستفينا على جانب فذ من جوانب إعجاز القرآن الكريم من جهة، ودقة هذه اللغة وإحكامها من جهة أخرى.
ومن الفائدة أن نخصص هذه الصفحات لشرح بعض المصطلحات التي ستمبرنا في هذا البحث، ذلك لأن الحرف أثر كبيراً في باب المعاني، فكم من جملة تغير معناها تغيراً كلياً من جراء حركة أو حرف. ومن طرف ما قد أن قال أنه قيل لأحدهم: ما حاجتك؟ قال: كتاب أنظر فيه، وعليه أنظر له، ووجه حسن أنظر إليه. فهذه كلمة واحده رأينا أن معناها مختلف اختلافاً كلياً باختلاف الحرف الداخل عليها، ومثل هذا الاختلاف في الجملة التي تكون فيها (إلى) أو (حتى) وكلاهما للغاية، فنقول مثل: سرت إلى آخر الطريق أو إلى نصفه، ونقول: سرت حتى آخر الطريق، ولأن قول حتى نصفه. ونقول: أكلت السمكة إلى نصفها أو إلى رسدها، ونقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولأن قول حتى نصفها، لأن حتى إذا تكون لآخر الغابة، وليس كذلك (إلى)، قال تعالى: فَسَلَّمُ هُمْ حَتَّى مَطَلَعَ الْفَجْرِ [القدر: 5].

ومثل هذا مانجده بين حرفين لا يفرق بينهما كثير من الناس وهم: (أو)، و(أم)، فكثير ما يستعمل كل منها مكان الآخر مع أن لكل منها مكانه الذي لا ينبغي أن يعده ولا يستعمل فيه غيره، فبعد كلمة (سواء) و (المهمة) لا تستعمل إلا (أم)، قال تعالى: فَسَوَاءُ عَلَيْهِمْ الْأَذْرَىٰمُ لَاتَسْتَعِظُّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [البقرة: 6] كذلك إذا كان السؤال عن معين، كان يقول: وأيام خالد أم أحمد؟ وتأتي تعرف أن أحدهما قد جاء، لكن لا تعرف من هو. «دخل ولذلك كلية الشريعة أم كلية الهندسة؟» وانت تعرف أنه دخل إحداهما، لكن لا تعرف ماهي؟ أقرأت كتاب دلائل الإعجاز أم كتاب سيبويه؟ وانت تعرف أنه كرا أحدهما. لكن لا تدري ما هي؟ أقرأت كتاب دلائل الإعجاز أم كتاب سيبويه؟ وانت تعرف أنه كرا أحدهما. 

(1) علي بن محمد الهروي (أبو الحسن) مهجري 1462، أبو نعاف، قدم مصر واستوطنه، وروى عن الأزهري، وات من صاحبه: الذخائر في النحو في أربع مجلدات، كتاب الأزهري شرح فيه العرمال، وخصص في النحو سماً (المشهد)، الأزهري في علم الخروف، تحقيق عبدالله المولوي: مطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1402هـ-1382ص 134.
وجواب عن السؤال الأول: أن يقال: خالد مثلاً، والثاني: كلية الشرعية،
والثالث: كتاب دلائل الإعجاز.
أما (أو) فإن السؤال بما يكون عن غير المعين، فإذا قلت: «أجاء خالد أو أحمد؟»، وأدخل ولدك كلية الشرعية أو كلية الهندسة، أقرأ كتاب دلائل الإعجاز أو كتاب سيبويه؟، فأتلك هنا لاتسأل عن أيهما جاء، ولا عن أي الكتابين دخل، ولا أي الكتابين قرأ، لأنك لا تعلم شيئاً، إنما سؤالك: هل جاء أحدهما، هل دخل واحدة من الكتابين؟ هل قرأ واحداً من الكتابين؟ والجواب هنا يكون: ب (نعم) أو (لا) وليحوز أن يكون كالأجوبة الأول، لأن السؤال الأول كان عن أي الأمرين.
فقول كذا أو كذا.
أما السؤال ب (أو) فلما يكن عن أي الأمرين حصل، وإنما أحسب أحدهما؟
وتأتي (أو) إذا لم يكن السؤال عن متبادلين، إذ لم يقصد تفضيل أحدهما على الآخر أو تميز أحدهما عن الآخر، كان يسأل سائل «أيها أعظم أثراً في التاريخ صلاح الدين أو نور الدين أم قطر؟» و «أيها أكثر عداوة للإسلام أمريكا أو بريطانيا أم الاتحاد السوفيتي؟» و «أيها المستشرقين أكثر مكراً مرجليوت أم نود لكة أم جولد تسهير؟» فإننا في الإجابة نقول عن السؤال الأول: أحدهما، إذا كنا نرى صلاح الدين أو نور الدين أكثر أثراً، أو بقال: قطر عند من يرى ذلك.
ونقول في الإجابة عن السؤال الثاني: أحدهما، أياً أمريكا أو بريطانيا أو الاتحاد السوفيتي عند من يرى ذلك. ونقول في الإجابة عن السؤال الثالث: أحدهما، أو نقول: جولدتسهير عند من يرى أنه أكثر مكراً. فلا حوز أن يقال في الجواب: صلاح الدين أو نور الدين مثلاً، لأن السؤال ليس عن الفاضلة بينهما، وإنما بينهما وبين قطر. ومن هنا فلنا في الجواب: أحدهما، وربما يقال: قطر، وهكذا.
كما نلحظ أن (أو) استعملت أولاً، ثم إن (أم) استعملت ثانية.
ثم (أم) هذه قد تكون حرف عطف، فتستم منصلة، سواء كان ذلك بين مفردتين مثل: «أجاء زيد أم عمروه» (أم) بين جمليين هما في حكم المفرد كالآية...
الكثرة في "أَتَّنِيرَهُمْ أَمْ لَتَنْهَرُوهُمْ" [البقرة: 6]، أي: إنذارك وعدمه سواء. وقد لاتكون كذلك، فنستعي المنقطعة، ولا تكون إلا بين جلتين ليست في حكم المفرد، قال تعالى: (أُرُونِيَ مَا دَخلَّوْا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ شَرَّكُونِ فِي السَّمَوَاتِ) [قاطر: 40] ف(أم) هذه ليست حرف عطف يراد منها النسوية، وإنما هي مفعمة: (بل) و (الهمزة)، كأنه انتقل عن قوله تعالى: (ما دخلوا من الأرض) إلى شيء أكثر منه استحالة فقال: بل أهل شرك في السماوات.

ومن الدقة اللغوية كذلك في استعمال الحروف التلفقة بين (إلى) و (اللام) في قوله: "مَالِحُبِّ عَمَّر إِلَى الْمُسْلِمِينَ" و "مَالِحُبِّ عَمَّر لِلْمُسْلِمِينَ".

ففي المثال الأول: (المسلمون) هم الذين يحب عمر، وفي المثال الثاني: (عمر) هو الذي يحب المسلمين، ذلك لأن ما بعد (إلى) يكون (فاعلما)، وما قبلها (مفعولا)، و (اللام) على العكس من ذلك، ماقلها يكون (فاعلما)، وما بعدها (مفعولا)، فإذا قلنا: "خالد أحبت إلى أبيه" كان الأب هو المحب، وإذا قلنا: "خالد أحب لأبيه" كان خالد هو الذي يحب أبيه، قال تعالى: (إِذَا قَالَتْ لَوْسُفُ وَأَخُوهُ أَحْبَبْ إِلَى أَبِيَّكَ مِنَا [يوسف: 8]، هم لا يقصدون بالطبع - أن يوسف كان يحب أباه أكثر من حبهم لأبهم، وإنما يتحدثون عن حب أبيهم ليوسف.

وقد يكون للحروف أكثر من معنى واحد، كأنه يثنى اللغوين، ونحن نذكر هنا ما تدعو الحاجة إليه.

الأصل: الباء


3. الاستعانة: وهي أن تدخل الباء على الله شيء، مثل: كتبت بالتمثيل، وقطعت بالسكون، ويمكن أن يكون منه قوله سبحانه: "بسم الله" كما سأني مثناه «بسم الله الرحمن الرحيم»، «افرأي بسم ربك الله الذي خلق» [العلق: 1].


فلبت لي بِهِمْ قومًا إذا ركبوها وضَّحَّونا الإغاثة فرسانًا وركبانًا.
ال التعريض: كنا نقول: "اشتريته بمانة، كافأت المتفرقين بجوائز ثمينة". والفرق بين هذا وبين الذي قبله، أي بين (باء) التعريض و (باء) البعد، أن في باء التعريض مقابلة شيء بشيء، فإن يدفع شيء من أحد الجانبين، ويدفع من الجانب الآخر شيء في مقابلته. وفي باء البعد اختيار أحد الشبيئين على الآخر فقط من غير مقابلة من الجانبين.

وكان كنا ذكرنا لأننا نذكر ما تدعو إليه حاجتنا من جهة، ولا نوافق على كثير من المعاني التي ذكرها هذا الحرف من جهة أخرى.

ثانياً: من

1. من أول معانيها الابتداء، قال تعالى: ﴿سُجِّنُ الَّذِينَ أَسْرَى عِبَادُهُ لِثَلَاثٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأُلَّاهِ مِنَ الإِسْرَاءِ﴾ (الأسراء: 1)، ﴿فَذَلِكَ نَجَّرَواَ وَأَخَرَجُواَ مِنْ دِيْرِهِمْ﴾ [آل عمران 195]، وكما يكون الابتداء في المكان، يكون أن يكون في الزمان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْسَجِدُ أَسْسَى عَلَى الْنِّقْوَاتِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْآخِرَةِ﴾ [النور 108]. وفي الحديث (مفردنا من الجمع إلى الجمعة).

2. التعريض: وهي أن تصلح مكاناً (بعض، قال تعالى: ﴿وَسَأْرِئُنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة 42]، ﴿فَلَقَّنَا عَلَى الْخَيْبَرِينَ﴾ [آل عمران 78]، ﴿فَمِنْ قَصَصَانَا عَلَيْكَ﴾ [غافر 87]، ﴿فَلَقَّنَا عَلَى الْخَيْبَرِينَ﴾.

على بعض من بعض، ﴿فِمْنَ أَمْسِكَتْهُمْ﴾ [البقرة 253].

فليس المراد أن ينفق الإنسان كل ما رزقه الله، وكل ما يجب، وإنما بعضه.

---
(1) حاشية الصبان على شرح الأشعري على القيامة ابن مالك، ومعه شرح الشواعت للعينيين 120/2.
(2) رواه البخاري - كتاب الأئمة - باب إذا استشهدوا إلى الإمام ليستسفوه لم يردهم - رقم الباب (11) رقم الحديث 973.
3. بيان الجنس: ومنه قوله سبحانه: "فَمَا نَسْخَرُ مِنْ آيَةٍ أو نُسْخَ نِسْخَةٌ نَّاَئِتْ يَخْرُجُ مِنْهَا أو يَخْرُجُ مِنْهَا" [المؤمنون: 66]. و"مَا يَفْتَحَ عَلَى رَيْجِنَةٍ مِّنْ رَحْمَةٍ فَلا مِمْساكَ لَهَا" [المؤمنون: 66]. و"فَوَأَوْقَأْنَا مُهَامَةً تَأْنِيناً مِّنْ آيَةٍ لَعَلَّهُمْ يَتَسَهْلُّنَا يَا قَلَابُنَا فَلَمَّا كَانَ لَكُمْ مُؤَمِّنٌ" [الأعراف: 132]. و"فَأَجَنَّبْنَا الرِّجَالَ مِنَ الْأَوَّلِينَ" [الحج: 33]. و"فَمَلَّوْنَ فِي هَذِهِ أَسْأَلَرَ مِنْ ذَهَبٍ وَكَثِيبٍ ثُمَّ أَخْبَرُوهَا بِشَرْكٍ مِّنْ بَنِي سُنْدُسٍ وَأَسَاسٍ" [الكهف: 31]. فَمِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الكَبِيرَةِ بِبَابِيَةٍ، وَعَلَامَاتِهَا:

أ. أن يكون ما بعدها خيراً مما قبلها.

ب. أن يجل محلها اسم موصول إذا كان قبلها معرفة، أو الضمير إذا كان غير معرفة، قبلها، ففي الآيات السابقة: "فَمَا نَسْخَرُ مِنْ آيَةٍ"، يجوز أن يخبر بما بعدها عنا قبلها، فما قبلها النسخ وما بعدها آية، فقيل: المسخر آية، المفتوح من الله: الرحمه، المتألق آية، الرجس هو الأوثان، والأسوار الذهب، كما يمكن أن يقال: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، لأن الرجس معرفة، يحملون فيها من أسوار هي ذهب، لأن أسوار نكرة.

وستعرف أن كثيراً مما سمـوه زائداً يرجع إلى هذا المعنى، وستدرك أن ما طعن به بعض الملاحدين على كتاب الله مردود، وذلك كقوله تعالى: "وَعَزَّزَ اللَّهُ الْأُمَيْمَةَ وَعَسَأَلَهَا الصَّلَاحَ حَتَّى بَنَوا مَعْجَرَةً وَأَجَرًا عَظِيمًا" [الفتح: 29] وهذه في حق الصحابة.

قالوا: الصحابة أذن قسمان.

والحق أن (من) هنا ليست للتبعيض، فالصحابة - رضوان الله عليهم - كلهم عدول، وكلهم مغفور لهم - إن شاء الله تعالى - وإنما (من) بابي، أي: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هؤلاء كذا وكذا.

4. البلد: "أَرْضُهُمْ الْحَبَّةُ الْأَطْيَابُ مِنْ الأَخْرَةِ" [التوبة: 28].
5. الفصل: "وهي الداخلة على المتضادين مثل"  في وآلهة بعمر المُعَمِّد من
نصalice [البقرة: 220].

6. التنصيص على العموم: "ما جاءنا من نبي ولا نذير" [المائدة: 19].

7. توكيد العموم: مثل "ما جاءني من أحد"، وکقوله تعالى: "وَمَا يُعَلَّمُ مِنَ
أُمَّةٍ حَتَّى يُقِيلُوُا إِبْنُ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَلَمِينَ" [البقرة: 102].

ثالثا: السلام، وتأتي:

1. للملك، كما نقول: "أن الأرض لله".

2. التعليل: "إِنَّا نُحْكَمُكَ الْعَالَمَينَ مُحْكَمَتُكَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا أُرْسِلْتُ لَنَجْزِي الْمُتَّقِينَ" [النساء: 105].

3. الاختصاص: "قَدْ أَنْزَلَ رَبُّ الْعَلَمِينَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْأَهْلِينَ" [الجاثية: 37].

4. لام العاقبة، وتبني: لام الصبورة أيضا. "فالقَطْرُةُ، أَلْ فَرْعُونُ لَيُكْنَ مُنْ"
"عَدُوا وَحَرَّبُوا" [القصص: 80]، فهِمَّ إِنَاقَ التَّقْطُوَة لِعِيْر ذَلِك.

5. التلبغ، وهي الجارة لاسم السامع، مثل: "قلت لك".

و هناك معان كثيرة ذكرها النحاة هذه (اللاحم) فأوصلوها إلى نيف وعشرين،
وكذلك أكثر حروف الجر.

ونحن لسنا معهم في كثير ما ذكرهوا، لأنه ليس من رأينا أن حروف الجر
ينوب بعضها عن بعض، ومثل لذلك بأنهم ذكروا أن (اللاحم) تأتي معني (الإلى)
رجلنا من قوله سبحانه: "فَمَّا نُهِيبُكُمْ أَحَبَّا أَحِينَكُمْ" [الزمر: 4-
5]، قالوا: ف (اللاحم) يعني (إلى) أي: أَوْحَى إِلَيْهَا. وربما علوا ذلك بسبب
الفواصل، وروئيئ الآي، مع أن الناظر في الآيات الكريمة، آيات الوحي، يجب
غير هذا، ففعل الوحي الذي يتعذر بـ (اللاحم) دائما لم نجد تعبيراً بـ (اللاحم) إلا في
هذه الآية، وإذا نظرنا في الآيات الكريمة، وجدنا أن هذه الآية الكريمة هي التي
كان الوحي فيها للجماد، أما الآيات الأخرى، فقد كان فيها للإنساب تارة. ولغيرهم من البشر تارة، ولما فيه حياة من غير البشر تارة.

١. قال تعالى: "أوْحِيْنَا إِلَى مُوسَى آيَةً رَحْمَةً وَمُوسَىٰ، وَأْيَانِبَهُ، لِيَنْذِرَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَلَهُ ۖ لَهُمْ نَارٌ جَهَرٌ ۖ وَلَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[النساء: ٤٦-٤٧].

٢. قال تعالى: "أوْحِيْنَا إِلَى مُوسَىٰ، إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ، إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَى مُوسَىٰ إِلَيْكَ إِذْ تَوَلَّى الَّذِينَ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ"[القصص: ٨].

٣. قال تعالى: "وَأُوْحِيْنَا إِلَى الْبِنَّاءِ، رَبُّكَ إِلَى الْمَجْمَعَ، أَنْ أَتَّخِذَاً مِنْ ضَبْطِيَّةٍ مِنْ جَبَالٍ بُيُوتٌ وَمِنْ الْجَنَّةِ مَا يُعْرِشُونَ"[النحل: ٢٨].

تعدى الوحي بـ (اللام) إذن لم يكن لرؤوس الآي، وإنما كان لغة بانية قصد إليها القرآن الكريم.

وأكتمى بما ذكرت لأننا لانقسم بأن نبين معاني حروف الجر وغيرها، وإنما كان الهدف ذكر بيان بعض المصطلحات التي تم ذكرها في هذا البحث.
الفصل الأول
الزيادة

يختلف مصطلح الزيادة عند العلماء، فهناك الزيادة التي يتحدث عنها علماء الصرف، ويعنون بها الزيادات التي تكون في بيئة الكلمة، وهي تجمع حروفها في دسالنونها، كزيادة السين والاء في الأفعال، مثل "مستنصر"، أو في الأسماء مثل "مستنصر"، وهذه لا يعنيها بحثاً - بالطبع - وإنما الذي يعنيها الزيادة عند النحوين، وهي زيادة حروف المعاني، وهي بهذا الاسم عند البصريين، أما الكوفيين فبسمونها حروف الصلة.

ولابد من يتحدث عن إعجاز القرآن عامة، والبيان بخصوص، أن يعرض لهذه القضية التي علجتها أفكار العلماء قديماً وحديثاً، بل شغلت حيزاً لا ينس، بل من مقولاتهم وdeny: الزوائد كلمات - أو أكثرها حروف - رأى بعضهم أنها لاحقة لها من حيث الإعراب، فإذا أسفقت بقي الكلام تاماً، كالباء في خبر ليس، حذفها ووجودها سواء تقول: وليس الله قادر، وتسقط الباء فقالون: وليس الله قادرًاء، فهي إما يزيد بها تأكيد الكلام وقوته.

وذهب آخرون إلى أنها لاتزيد المعنى شيئاً، فلعنع بها سواء إن وجدت أم حذفت، وإنما شيء بها لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام، وجمال إيقاعه، وحلاوة نغمه.

ويبر ابن السراج(1)، ومن نقل عنه(2)، أن هذه الزيادة لا يجوز أن تكون في

---

(1) محمد بن سري السراج، أبو بكر، والسراج: يفتح السين وتشديد الراء وبعد الألف حجم، هذه بالنسبة إلى عمل السروج، له كتاب "الأصول"، وله "شرح كتاب مسويه"، توفي سنة 322 هـ.
(2) انظر: تاريخ العالِم النحائيين 44 - 44.
الكلام، إلا إذا ألمع عملها، فهم ينكرون زيادة حروف الجر مثلاً لأنها لا يمكن أن تكون زائدة وعاملة معاً.

ويرى عبد العال سالم مكرم: أن هذه الزوايد ظاهرة أسلوبية، فهي وإن كان زيادة من حيث المعنى، أي يتم المعنى بدونها إلا أنها يستعمل بها الأسلوب، وذلك مستقر عند العرب، والقرآن إذا جاء على أساليب العرب ونهجهم.

وهذه الزوايد يتحاشى بعض الأئمة تسميتها بهذا الاسم - كا قل - إجلالاً لكتاب الله تعالى، فجعلون عليها الصلة، فالباء في خبر ليس مثلاً، لا يقولون عنها زائدة، وإنما يقولون الباء صلة، ونحن لا نعينا التسمية بقدر ما يعينا جوهر الموضوع وأساسه، والحقيقة أن هذه الزوايد عتت في بيئة النحو، وتعرفت في حجورهم، وكان ذلك نتيجة للقواعد التي قدرها، وألزموا أنفسهم بها، وحينها ندرر هذه الزوايد - التي سموها كذلك - دراسة موضوعية، فإننا نخرج بنتيجةين:

الأولى:

إن أكثر النحاة قال يوجد زوايد في كتاب الله تعالى، على الرغم من أن كثيراً من المفسرين والعلماء نفث يقول بالزيادة.

فمن النحويين مثلا: الفراء(3)، وأبو حيان(4)، ويكنك أن تأخذ أي كتاب من كتب النحو، كشرح الكافية للضرورة(5)، وشرح المفصل لأبن بعيش(6)، ومعاني القرآن للقراء(7)، وإعراء القرآن لأبي النقاء(8)، أو المنسوب للزجاج(9) وستجد القول زيادة كثير من الحروف والكلمات مبيناً في صفحات هذه الكتب.

= سبعة علوم: التفسير والحديث واللغة والنحو والمعاني والبدع والبيان، وكان إلى جانب علمه عفيفاً كريراً صالحاً نفسي وjisيداً لم يردة إلى السلطان، وتوفي يوم الجمعة 19 من حرمي الأول سنة 1399هـ.

كتاب الإشارة والنظائر في النحو - تحقيق ط: عبد الروؤف سعد، نشر: الكليات الأزهرية 1975 12/2 1031-1032 1399هـ.

- 27 -
الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبو وزكريا، المعروف بالفراء (144 - 776 هـ، 342 هـ). إمام الكوفيين وأعلامهم بال نحو واللغة والأدب.

كان يقال في الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكرخة ولحقه البغدادي. نزى في طريق مكة، وكان فقيهاً متكيلاً عالياً بعلم العرب وأحياؤه. (الأعلام 145)

الأعشش: هو عبد بن مساعد المجاشعي، البليغ، ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالآخشش الأوسط (150 هـ). نزى في عالم بالفهرسة، أبو الغزالي من أهل بلج، سكن البصرة، وحاز على العربية عن سبيسي، وصنف كتب كثير. (الأعلام 3/120).

أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حبان الجبائي، أبو الحسن، من كبار العلماء بالعربية والتصبير والحديث واللغات (1756 - 1444 هـ). ولد في إحدى جهات غزنة ثم أقام بالفهرسة، وقوي فيها بعد أن كشف جفره. له مصنفات كثيرة منها: (البحر المحيط، والبحر، وبحج عصر، وقبطيات حنا الأندلس...) (الأعلام 7/156).

رضي الله: محمد بن الحسن الاسترباذي النحوي (ت 788 هـ، 1382) نجم الدين، عالم بالعربية، من أهل استرباذ (من أصل طبرستان)، عاشر بكبتة الواقعة في شرح الكافية، وشرح مقدمة ابن الحاجب السماج (البلاغي). (الأعلام 6/82).

انظر: مثل ت 384، كتاب الكافية في النحو، شرح رضي الله، دار الكتب العلمية - بيروت.

ابن بعيش: هو موفق الدين بعيض بن علي النحوي (314 - 1181 هـ، 1345 - 1342 م) المعروف بابن عيش، وابن الصانع، من كبار العلماء بالعربية، موصل الأصول، مولده فتوحه في حلب، ورحل إلى بغداد ومصين، ونادر للإقراء بحلب إلى أن توفي، كان ضيفاً عناصره كثير المخرج مع سكينة وفناو. (الأعلام 6/23).


ابن بليغة: هو الإمام محمد، ابن إبراهيم عبد الله بن الحسن بن عبد الله الكهرباء، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصله من عربياً (بليدة على دجلة)، ومؤلفه وعليه بن برغداد. أصيب في قصة بالجدرة، فعمر من كتبه: «البيان في أعمال القرآن»، يعني إزالة ما من الرحم من وجه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، واعراب الحديث وغيرها من الكتب النافعة. (ت 7616، 1219/20) (الأعلام 1/420).

إملاء ما من الرحم من وجه الإعراب والقراءات في جميع القرآن - دار العلم للجميع أنظر: 147/1، سورة الأعلام.

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج (241 - 372 هـ، 638 - 675 م) عالم بالنحو واللغة، ولد مات في بغداد. كان في فترة شرطة الزجاج، وصالح النحو فعمله المبرد، أدرك ابن بعيض المعهد العباسي، وكانت للزجاج مناقشات مع معلمي، وله تصانيف كثيرة.

إعراب القرآن للزجاج - تحقيق ودراسة إبراهيم الآدبي - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع - القاهرة سنة 1963/1314.
وعلى العكس من ذلك تجد الأمر عند كثير من الفرسين والعلبة، وتمثل لك
بتفسير" الطبري (ت 310 هـ)، والرازي (ت 769 هـ)، وأبي مسلم ابن بحر
(ت 322 هـ) من الآفدين، والشيخ عبد عده)، والدكتور محمد عبد الله
دراز)، والشيخ عبد الرحمن تاج) من المحدثين، وستجد أنهم يردون القول
بالزيادة.

(1) الطبري: هو محمد بن جعفر بن يزيد، أبو جعفر (244 - 310 هـ)، وله
المؤرخ، الفسر، الإمام ولد في أمل/ طرستان، واستوطن بغداد، ونفًى بها، وعرض عليه القضاء، فاعت،
والنظام فأي له أخبار الرسل والملوك، وفي تفسيره ما يدخل على علم غزير وقح، وكان مجتهداً في
أحكام الدين، لا يقلد أحداً، بل قلد بضعة الناس عملوا بأقواله وآرائه. (الأعلام) 29/6.

(2) انظر مثال: عند تفسير قوله تعالى: "أو كالذي من قرية وهي خاوية على عروشها" (البره: 259)
حيث يرد على القائلين بزيادة الكاف.

(3) كتاب (جامع البيان في تفسير القرآن) - الطبعة الأولى - الطبعة الكبرى المصرية ببولاق - مصر
المحمدية 1334هـ/ 1915.

(4) الرازي: هو فخر الدين الرافي، إمام المتكلمين، وعالم المبتدع، وحجة الله على العالمين.
المتبرر، نائب المحققين، أبو البكر، محمد فخر الدين بن صيد الدين بن الحسن بن الحسين
الميمي، الكافي الماهلي الشافع، ولد سنة (542 هـ) وقد كان مولعاً إلى حد الغرام بالفلسفة،
والكلام، والجدل، وأصول الفقه، والمصر. وتميي سنه (607 هـ).

(5) انظر مثال: عند تفسير قوله تعالى: (في رحمة من الله لنت فهم، (العمران: 109) حيث يقرر أن
(ما) استفهامية فارآ من القول بالزيادة.

(6) التفسير الكبير - الطبعة الأولى، ملهم الطبع عبد الرحمن محمد عبيد الأزهر بمساء، 29/6.

(7) ابن بحر: هو محمد بن جعفر الأصفهاني، الكاتب، أبو مسلم، مولده سنة (654 هـ) كان يحمل
كتاباً بليغاً، مدرسًا جيدًا، لمجلّه عادةً، عارفًا بالفوكس وغيره من صنوف العلم، صار عالم
إصهان وفارس، له رؤية في تأويل مهتمة من النزول، والناسخ والممنوع، وكتاب في النحو.
(1342هـ).

(8) انظر مثال: عند قوله تعالى: (فرحون على قرية أهلها، أنهم لا يرجعون) (الأنبياء: 95) حيث
برد القول بزيادة لازم تفسير الرافي 23/11.

(9) انظر عند تفسير قوله تعالى: (فقط ما يؤمنون) (البقرة: 88) حيث يرد القول بزيادة (ما) - محمد
رشيد رضا - تفسير المناخ - الناشر: دار المعرفة/ بروت ط/ 2/673.

(10) حيث نفى زيادة الكاف في قوله تعالى: (ليس كمثله شيء) محمد عبد الله دراز- الناشر العظيم - دار

8-26
الثانية:

إذن ماسمو زائداً أو شبه، عندما نحن النظر فيه، فإننا لا نترد أي ترد، ولا نرمى أدنى ريب، بأن هذا الذي سممو زائداً، لم يكن للتأكيد فحسب، ولم يكن ليحلمه الإيقاع فقط، وليس ظاهرة أسلوبية - كيف قيل - إنما هو بعد ذلك كله أمر اقتضائه المعنى، وحجمه الحكمة البيانى، والحكمة العقلية كذلك، فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى.

والزوائد التي ذكرها خمس عشرة، ولكننا بعد استقصاء وجدناها أكثر من ذلك بكثير، فجمعنا منها ستنا وعشرين أداة، وهي إما حروف أو أشياء أو أفعال، والذي يعني منها الحروف فقط وهي: (إلى، والباء، واللام، ومن، وعن، وفي، والكاف).

والذي يستعرض كتب التفسير والنحو وإعراب القرآن، يجد أن كل حرف من هذه الحروف قيل بزيادته في آيات كثيرة من آيات القرآن الحكيم. ونحن في هذا الفصل لانستطيع أن نلزم به، فتلك قضية رجدها بحاجة إلى كتاب ذي فصول متعددة، ولكن بكيفينا أن نأتي بما يسمح به المقام، فتكون شاهد صدق على نظير من مظاهر الإعجاز من جهة، ويكون برهاانا على غيره مما لم يذكر من جهة ثانية.

أولا: الباء.

والآيات التي قبل فيها بزيادة الباء تنفي على العشرين أداة، وهذا بالطبع غير الآيات التي جاءت فيها الباء في الخبر ليس أو ما مثل قوله سبحانه: نَّبِيٌّ مُّسَّنَّمٌ (ikoؤف عِبَادُهُ) [الزمر: 32]، وقوله: وَنَزُّلَ لَهُمَا [فصلت: 26] فهذا القسم كثير في كتاب الله تعالى. والذي بعيننا الفصل الأول، وهو ما ندرج تحت فاعة معينة، وسنستلم له بعض الآيات:

1. إن كاذباً يطعن أن من يعبر الله في الدنيا، إلا الرحمن فبئس الباء نемсяة، [الحج: 14].
2. ومن يرد فبه إن جاد ولتبته [الحج: 25].

3. وقدر تحجر من طريق سبأة تنبت بالذين وصيغ للذين [المؤمنون: 20].

4. قضرب بينهم سوء له باب [الحديث: 13].

5. فأär علم بان الله يرى [العلق: 14].

الآية الأولى:

 قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَتَفَسَّلْ عَنِ اللَّهِ فَلَا يُؤْتُهُ الْأَلْبَاتِ﴾ [الحج: 15].

قالوا: إن الباء زائدة، والتدوير: (فليمدد سبباً)، أي: فليمدد حيلاً، والغواسون من أجل التقط المعاني لأيرضون هذا القول، لأنه ليس المقصود المحدد، فقد تمد الشخص حياً كما كثير من غير أن تكون له صفة مباشرة، ولكن المقصود أن يصل هو نفسه بهذا الحبل، لذا عدى الفعل بالباء، أي: يوصل نفسه بهذا الحبل المحدود إلى أعلى. تلك هي بلاغة القرآن في استعمال الحرف حيناً، وتركه حيناً آخر.

الآية الثانية:

 قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْدُ فَهُوَ إِلَّا جَاهِلٌ قَانِزٌ﴾ [الحج: 25].

---

ابن هشام: هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، ولد في القاهرة سنة 780هـ/1376م، قبل عنه أنه على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو. وقال ابن خلدون: لما زلنا بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالما بالعربية يقول له ابن هشام انحي من سبيبه.

معنى المليب عن كتب الأخبار - تحقيق محي الدين عبد الحليم 108/1.
قالوا: (1) إن الباء هنا زائدة، لأن فعل (أراد) يتعدي بنفسه، وكثير من المفسرين ذهب إلى أن الباء يتعلق بمفعول مذهوف، أي: وهم يريدون فيه مراداً بالإخاء، فراراً من القول بالزيادة.

ولكن ما أرجحه أن الفعل هنا ضمن معنى الهم، وهم يريدون بالباء، ذلك أن مكة - ورشها الله تعالى - يضاف فيها العمل، فإذا كانت الحسنات تضاعف لصاحبها أضعافاً كثيرة، فيه يعني تكون السئيات كذلك، والغنم بالغنم (2).

وكان الذي يهم في هذا البلد بشيء فإنه يجازي عليه.

قال في الكشف (3):

ومفعول: يريد متراكب لتناول كل متناول، كأن قال: ومن يريد فيه مراداً ما، عاداً على الصداق، ظالماً (نذقه من عذاب أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه، وآبل طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويفصده.

الانتماء في علم القرآن للسبطوي 1411/1 – شركة ومطبعة البابي الغزلي- القاهرة - الطبعة الثالثة / 1370هـ.

(1) القرآن الكريم لمزارعي 1/108 - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط -1371هـ.

(2) دار إحياء الكتب العربية – بعثي السبطي الحسني وشركاه.

(3) القرآن الكريم لمزارعي 1/108 - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط -1371هـ.

اذكرшин: هو دعوة ابن عمر بن أحمد الحوازي ينشئي، جار الله، أبو الفاسم (4/217-228هـ، 154-165م)، من أئمة العلم بالدين والتفصيل واللغة والأدب، ولد في زغشخ (من خوزستان) وعمر إلى مكة دونًا زمزاً، يحب جار الله، وترافق في البلد ثم عاد إلى الجراحية، ولا يدفعة من كهنه: الكشاف، أسس البلاغة والفضل، (الأعلام 7/1877).

الكشف عن حقائق غرائب التنزيل وعيون الأقوال في وجه التنزيل - الطبعة الأولى - مطبعة الاستفادة - القاهرة - 1367هـ / 1947م.
الأية الثالثة:

قوله تعالى: فَوَبَىَّةٌ خَرَجَ مِن طُورٍ سَبْبَهَا تَنبِتُ بَالدَهْنِ وَصَبْحُ لِلثَّلَاثِينَ

[المؤمنون: 20]

في قوله سبحانه: «تبت بالدهن» قراءتان:

القراءة الأولى: تبت (بفتح الناء وضم الба)، وفعله الماضي: نبت الثلاثي، وهذه قراءة أكثر القراء.

القراءة الثانية: تبت (بضم الناء وكسر الباء)، ومضيه: أبت الرباعي، وهي قراءة ابن كثير.

وقال بعضهم أن الباء زائدة، كما نقل عنهم أبو حيان(1) إلى أن الباء زائدة على هذه القراءة، والمعنى تنبت الدهن.

وذهب غيرهم إلى أنها غير زائدة، والمعنى تنبت ثمرها مصاحبا أو ملبسًا بالدهن. ولهذا أن زيادة الباء غير متصورة ولا ممكنة، لأن المعنى غير مستقيم على هذه الزيادة، لأن الشجرة في الحقيقة لا تنبت الدهن، وإنما تبت المشمل على هذا الدهن، ونحن نعرف اليوم أن الزيتون ما لا يؤخذ منه زيت، وإنما هو زيتون من أجل أن يكمل ثمره بعد أن يقلل.

إن الفعل بزيادة (الباء) على قراءة ابن كثير يخرج الأية الكرمة عن المعنى المراد، ولهذا أن مؤدي القراءتين واحد، وأن كان من فرق بينهما، فإنما هو فرق بين الفعلين الثلاثي والرباعي، وليس من غرضنا أن نعرض له هنا، لأن بحثنا في قضية الزوايد.

________________________

(1) البحر المحيط 1/6 1442هـ.
الآية الرابعة:
قوه تعالى: قِسِّي بِنِينَيْنِ يوْمِ الْقِيَامَةِ ٤١ [الحديد: ١٣].
فَأَخْرَجَ آدَمَ رَأْسَهُ وَالْيَدَينَ: "قِسِّي بِنِينَيْنِ". ولكن الذي
يتحدث عن هذا، هو لابن من شرح وتفسير.
المجمِّع في آيات الكتاب الذي في ما يوصف بالأبواب. وتبين له أيضاً.
ويعيد بيان، ودالة معينة في حينها القول أن الله لا ينام على السموات والأرض، أو على
النبات والثروة، فيتحظى بهما، فإنها دُعَاءٌ ورُوْى بأن الحذاء يُنَصَّب فِيمَ بِينُه وِجَهَة
وينحنُّه كلاًّ كُلَّمَةً جاءت تُبَلِّغ على دقة نعمة الله، فعَنِ الله، وأخذ القرآن الكريم
على الأرض وما يُنفَّذ من أناس، وما يُسَبِّب ويُشْتَهِر، من متى، كل حكمة.
يبلاغ الله تعالى: ٥٦ مواطن على الأرض في الفجر من الصفا إلى ميقات.
وقل الله تعالى: ٥٧ وَقَالَ لِالْكَلِمَةِ الصَّافِرَةِ. وكان قد ذُكِر
ذلك كله حديث عن الأرض - منها ما ذُكِر في سورى اسماء الله العظمى - وو
أقبل كلمة (بنيان)، وما أجملي اسماءه وحبليه، فنصب على رسول غنيه.
لكن ليس العلمان الكرب - لم يكن مثل هذا من العلماء - بدأ فيه مكلمة غير
هذه الكلمة قال تعالى: ٥٨ أي: ليس لم ينظر إليها، فأنه ينظر إليه، وأُنزل بمائة
٦٢٢، آل بن الابن يكتب مكان اسماء الله العظمى، وذلك إدمج جاذب خضير
بدع، ونفذ رفيق، وهو أن أجملي من اسماء الله بذل كلمة عن عهد الناس
في هذه الأرض من وضع الحجازيه، بعضها على بعض، واحتلال الزراد بعضها
بعض، هذا عن العين، والأرض.

(١) إملاء ما عن الرحمن - العكبري ٢٩٥.
والنح: سليمان بن عمر العجيل الشافعي النجحب بالجمل (ت ١٢٣٤هـ) - الفتوحات الامية
بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحية - مطبعة البالي الجيلبي - ٢٨٣/٢٦.
وقد حذفنا القرآن الكريم كذلك عن الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُلِّ نَفْسِكُ رَبُّنَا قَلْتُمْ رُكَابّنَا رَكَابُنَا نُزِّقَنَا وَمَا ذَكَّرْنَا نَعْمَهُ﴾ [الأحزاب: 37]. وقال سبحانه: ﴿وَرَكَابُنَا يَعْرَبُونَ﴾ [الطور: 20]. فنحن نرى أنه غير بين الفعلين لا لاختلاف لفظيها، ولكن إشارة إلى أن طبيعة ما في الدنيا من زواج وغيره مختلف عنها سيكون في الآخرة.
وعلى هذا يمكننا أن نفهم الآية الكريمة التي معنا (فضرب بينهم بسور له باب)، ذلك لأن الآية - والله تعالى أعلم بأسرار كتابه - نبين لنا أن ما يتخذ الناس من أسوار في الدنيا، وما يقومون به من وسائل هذه الأسوار يختلف تماماً عما يكون في الآخرة، وأن ما في الآخرة مختلف كلية عنا عهد الناس في هذه الدنيا.

هذا الذي هداني الله إليه بعد وقفة طويلة، ومراجعات لأكثر كتب التفسير مطوعاً وغيره حتى الكتاب النادر، فلم أجد تعليقاً على هذا الحرف، والله تعالى المتعال، والفضل، ورحمة الله أثمننا وجزاهم خيراً.

على أن الباء - هنا - يمكن أن نفهم منها معنى الإحاطة والشمول، هذا السور الحاجز بين الفريقين.

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُ بِذَٰلِكَ رَبُّكُمُ ؟﴾ [العلق: 14].
لم تتعلق كتب التفسير على هذه الآية، بشيء، وكل الذي قالوه: (1) أنها زائدة، لأنها تزاد قياسا في مفعول (علم، وعرف) وما أشبهاها.

وقول وآية التوفيق، ومنه العون، المتدر لآي القرآن الكريم يبد أن هذا الفعل جاء بغير الباء في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرْهُمْ وَمَا تَحْبَسُونَ﴾ [بقرة: 76].

(1) ابن بيعش - شرح الفصل: 26/5، رابن هنام، المغني: 107/2.
أول أية الكريمات ولم تجري الباء إلا في هذه الآية الكرمة.

والذي نسبه... والله أعلم بمسار كتابه أن هذه الآية الكرمة هي أول آية جاءت بهذه الصيغة، وسباقها بدل أنها جاءت تقديبا وتحريفا لهذا الذي ينفي عبدا إذا صلى وكتب ونول سوى كان أبا جهل أم غيره، وهو لم يكن من المؤمنين بالله تبارك وتعالى، وبأنه يعلم خائنة الأعين ويسمع ويرى، فكان العلم هنا مضمن معنى الإيمان والتصديق والتأمين من سنن العرب في كلامهم وآساليهم، فكانت الآية وعبدا له وإنكارا على العلم هذا الإيمان والتصديق.

أما الآيات الأخرى فإنها أنها جاءت خطابا للمؤمنين، إيمانا حقا ظاهرا وباطنا أو أولئك المؤمنين بالظاهر، وهم المنافقون، فلم يكن ثمة حاجة لتضمين العلم معنى الإيمان، وسباق الآيات ما ذكرناه، وما لم نذكروا بهدف على ذلك، وليست الآية التي معنا منها هذا القبيل، لذا جاءت الباء في هذه الآية دون غيرها من الآيات المماثلة لها، فضلا عن جمال الإيقاع الذي جاء من وجوه الباء بعد الميم حيث الغناء بسبب الإخفاء الشفوي، كما يقول علاه التلاوة، وهي متلازمة مع قصر الآية الكرمة.

تلك هي الباء في قوله (أم يعلم بأن الله برى) جمال معني، وجمال إيقاع.

ثانيا: مسن

وقد ذكروها زائدة في كتاب الله تعالى فيها يقرب من عشرين آية، وهذا بالطبع غير (من) الاستغراقية ومستكفي بعض الآيات، فمن ذلك :-

قوله تعالى: (ما تنفس من عالمة أورَنُبها نبات يُبقر بينها أو مثليّة) [البقرة: 116]

قوله تعالى: (وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً عَلَى جَبَالٍ ذُبَابًا مِّنْهُ) [التوراة: 43]

قوله تعالى: (فَلَنَبٌّ تَرَكْنَاها ثُمَّ يَبْعَثْنَا عِنْدَكُمْ طَيْفًا) [العنكبوت: 25]

قوله تعالى: (فَنَفَجّرُ فِيهَا مِنَ النَّجْرِ) [يس: 34]
الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿مَانَسَحَ مِنْهُمَا تَمْهِيلًا﴾ (البقرة: 106)

ذهب العكبري(1) إلى أن (من) زائدة، والذي حمل على ذلك أنه جعل لفظ 
(آية) حالاً (و)حالاً لا تدخل عليه كلمة (من) والأدبي من ذلك أنه جعلها حالاً لا 
لأن المعنى يقتضي ذلك، وإذا قاسها على قوله تعالى: ﴿وَتَبَيِّنَّمِنْهَذِهِ نَاَيَةَ لِلَّهِ﴾ 
(آية 14 من سورة هود) فالأية هنا حال قال، فإذا كانت الآية هنا تعرب حالاً 
فهي في الآية السابقة كذلك، وهذا قول عجب لأننا نفرق وفقًا للغة من حيث المعنى 
بين قوله ما نسخ من آية، وقوله ياقوم هذه ناقية لكل آية. فالآية الأولى المسدود 
بها الآية من القرآن، والآية الثانية المسدود بها العلامة ومعجزة(2). والإعراب فرع 
المعنى لكنه جعل المعنى فرعاً للعابد.

والخلاصة أن (من) لا يتم المعنى بدونه فضلاً (عن أن نقول بزيادتها لأننا لا 
يحوز أن نعرب آية على أنها حال كما هو الحال في آية الناقة إلى هذا أشار صاحب المغني 
قال: رحمه الله – وأما قوله أبي البقاء ما نسخ من آية أو نفسها. أنه يجوز كون آية 
حالاً و (من) زائدة كا جاءت آية حالاً في ﴿وهذى ناقة لَّهُا نَّاَيَةَ﴾ والمعنى أي 
شيء نسخ قليلًا أو كثيرًا، ففيه تخريج التنزيل على شيء أن ثبت فهو شاذ، أعني 
زيادة من في الحال، وقدر ما ليس بمشتق ولا متسلق، ولا يظهر فيه معنى الحال 
حالاً، والنظرية لما لا يناسب فإن آية في ﴿وهذى ناقة لَّهُا نَّاَيَةَ﴾ ممعنى علامة لا 
واحدة الآي، وتفسير اللفظ بما لا يتحمل، وهو قوله قليلًا أو كثيرًا، وإنما ذلك 
مستفاد من اسم الشرط لعمومه لآية(3).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَّمِنْ أَلْسَمَاءِ مِنْ جِبَالٍ﴾ (النور: 43)

وقد ذكرت (من) هنا ثلاث مرات (من السماء)، (من الجبال)، (من برد)

------------

(1) علماء ما من به الرحمن 132.
(2) وهذا على إجماع المفسرين ولم يختلف فيه وذلك إلا أبو مسلم بن بحر حيث أدعى هنا أن الآية معنى 
(3) الرسالة وذلك لأنه ينكر النسخ. الرازي 257/30.
المغني لابن هشام حاصل 324.
وقد اتفقوا على أن (من) الأول ابتدائية، ثم اختلفوا فادعى بعضهم الزيادة في الثانية
ومعنى الآية عند هذا الفريق: "وننزل من السماء جبالاً ووادياً آخرين أن (من)
الثانية هي الزائدة والمعنى عنه ونزل من السماء من جبال فيها بردة، والحق أن (من)
الثانية يمكن أن تكون ابتدائية أو تبعية، وكذلك الثالثة إلا أنها يمكن أن تكون
بيانية كذلك، فمعنى على كونها ابتدائية ونزل ماء يبتدئ، إنزاله من السماء
مبدئاً من جبال في هذه السماء مبدئاً من برد في هذه الجبال، فالماء المنزل بتدئة
إنزاله من البرد الكائن في الجبال الكائنة في السماء، والمعنى على كونها تبعية،
نزل ماء مبدئاً من السماء في بعض البرد الكائن في بعض الجبال، وعلى كون
الثالثة لبيان يكون المعنى، ونزل من السماء في جبال هي البردة، فعل هذا تكون
الجبال نفس البرد وهذا هو معنى البيان.
والذي يترجم لي أنها أي الثانية والثالثة تبعية بيان - والله أعلم - وعلى كل
حال فلا داعي للقول بالزيادة.
الآية الثالثة: قوله تعالى: "وَلَقَدْ تَزَاوَّتْ آيَةُ (العنكبوت آية: 135)
والتقدير عندهم (1): ولقد تركناها آية، وهذا غير وجهي، لأن الضمير في منبه
إما أن يرجع إلى القرية، وإما إلى العقوبة، ولا يستطيع المعنى على كلا التفسيرين،
وإذا جعل مما بقي من القرية آية أو جعل من أثر العقوبة آية، فمن تبعية إذا رجع
الضمير (ها) للقرية وأي ولقد تركنا بعض آثار هذه القرية آية، ولبيان إذا رجع
العقوبة آية، ولقد تركنا العقوبة آية. واظن الذين قلوا بالزيادة حملوا هذه الآية
وقasuHaى قول الله تعالى "وَلَقَدْ تَزَاوَّتْ آيَةً"، أي "فَهَيْلُ مَنْ مُذْكَرِ" [القمر: 15] حديثاً
"عن ذات الألواح، والدسّ الذي حمل عليها نوح عليه الصلاة وسلام ومن معه،
ولعل القاري، إن شاء الله تعالى يدرك - كما أدرك - أن هناك فرقاً بين الآتيين من
حيث المعنى، فلهذا تبارك والله تعالى يريد أن يكون من العقوبة لقوم لوط أو من أثر قراه

(1) البحر المحيط - ابن جهان الأندلسي اللغزافي - ص 151.
لم ير على ها آية للمعثرين. أما السفينة تلك التي وضع فيها أهل ذلك العالم الصغير وصار من ها العالم الكبير فهي نفسها آية، لأنها بقيت بأجزائها ألوانا ودسا، فلا ينبغي ولا يليق أن نحكم على الزيادة في آية قياسها على آية أخرى من غير أن ننظر إلى معنى كل واحدة من الآيات وموضوعها وأسلوبها.

الآية الرابعة: قوله تعالى: "وَفَجَرْنَا فِي هَٰذِهِ أُمَّةٍ فَأُلْهِمُّونَ" (يس: 34).

(ومن) ها تبعضية، لأن الله لم يفجر عيون الأرض جميعا، "والذين قالوا" بالزيادة قاسوا ها الآية على قول الله تعالى حكایة عن الطفول، وفجرنا الأرض عيوناً. ونقول فيما قلنا من قبل فشتان بين ما تشير إليه كل من الآتيين، فالأية الأولى تحدث عن أكرم الله به الإنسان من تفجير بعض عيون الماء في الأرض نعمة منه سبحانه، والآية الثانية تتحدث عن كان أيام الطفران عقبة وانتقاماً ولقد كانت الأرض كلها كذلك.

ثالثاً: عن

قال أبو عبيده عند قوله تعالى: "فَبِحُبُّكُمْ لَنْ نَحْمِسْ فَغُدُّوْنَ عَنْ مَرْبُودٍ" (الموه: 63) مجازاً: "يُجَلْفُونَ أَمْوَهُ سَوَاءً، وَعَنْ زَائِدَةٍ".

وفرعون والنغوبون غير أبي عبيده والأخفش ومن ردد قولها على غير ذلك، أي على أن (عن) ليست زائدة.

__________________________
(1) إملاء ما من الرحم للعكربي ح3ص 252.
(2) هو معاصر للمنهل النيمبي، ولد في سنة (112 هـ) ولم نذكر المصادر أين ولد لكن العلماء يضعونه في عداد علماء المعرفة. تعلم النحو والشعر والغريب على يد أبي عمرو بن العلاء، وتتقبل كلمة العلماء على أنه من الجواهر، وقد وضعت في عهد أعمد العلوم الإسلامية وكان يشارك فيها مشاركة كبيرة. نوهي في سنين (209 و213 هـ). معاصر القرن - الطبعة الأولى سنة 1381 هـ وسنة 1962 م مكتبة الحاجي جمعه ونشر الأبحاث المحيط 4778/6، إملاء ما بين الرحم للعكربي 84/4، والبهجة للفلكي 286/4.

- 39 -
قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية: وآدخلت عن لأن معنى الكلام:

فليرحذر الذين يلذون عن أمره. ويدرون عنه معرضين (1)

والأقرب من هذا ذهب أبو البقاء، وذكر الشيخ الحمل في حاشيته على تفسير الجلالين (2) هذا القول، وزاد قوله آخر وهو أن (يجففون) يعني يصدون والمفعول: محذوف، أي يصدون الناس عن أمره، وما نظم أن هناك حاجة لمثل هذا: فمعنى كان الأمر خاليا عن الحذف والتقدير كان أول.

والخلاصه: أن القول بالزيادة إذا نقل عن الأخفش وأبي عبيده، وجهور العلماء يردونه (3).

والذي يظهر لي بعد مقالاً، وبعد نقل هذه الأقوال عنهم أن مجيء (عن) في الآية الكبرى لنكتة دقيقة، وفرض بيان، وهو التحرير من مخالفة أي أمر مهما دق، لأننا حينما نقول: يتخففون أمره، هذا يمكن أن يشمل الأمور ذات الشأن ولكن عندما قال يتخففون عن أمره، فكأنه يعني: لا ينبغي أن يتمحزوا عن هذا الأمر ولو قيد أملة.

هذا المعنى لا يتم بدون هذه الكلمة التي وصفها قوم عما الله عنهم بالزيادة.

رابعاً: لعمل.

يدعى بعض الكاتبين المحدثين (4) زيدة (لعمل) في قوله تبارك وتعالى:

"يُوزَفُ أَيْتَا الْمَكَّيْنَ اسْتَفْنَّاهُمْ فِي سَبْعِ بَيْنَتٍ سَيْنَاً بَيْنَ هُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَ مُضُرَّعَةً لَّهُمْ تَجْرِيٌّ (مَضْرَّعَةً)".

وأخرى ياسبت أعلين أرجعوا إلى الناس لعلهم يعلمون [يوسف: 46].

فهو يدعي أنه قد زيت كلمة لعل من أجل القافلطة، فأفصل النظم عنده:

---

(1) تفسير الطبري 18/135
(2) تفسير الجلالين 3/243
(3) لذلك ذكر الشيخ القول بالزيادة بعد القولين السابقين تضعيفاً له.
العُليّ أرجع إلى الناس فيعلمون، لأن الفعل المضارع ينصب في جواب الترجي.
وَكَانَ أُولِدَ لَلْكَابِتِ أَن يَقَفُّ بِمَعْدِنَةِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَما وَأَنَّهُ لم يَقْفَ، فَلَتَقَفَ أَنَّ أَيْهَا القَارِئُ، بِمَعْدِنَةِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فِي نُظُمَهَا. وَبِتَابِعِي ذِي بَيْدُهُ إِن كَانَ جَرَاءً أَنْ نُقَرِّر زِيادةَ كُلِّمَاتِنِمِنْ أَجْلِ الفَعْلَةِ، وَهُوَ بَعْدُ بَابُ خَيْرٍ أَنْ يُفْتَحَ، لِأَنَّهُ سَيَذْكَرُ بِبَقَاءِ كَثِيرَةٍ إِنَّما زِيدَتْ أَجْلِ الفَعْلَةِ، أوِالْجَذْمِ، أوِالسِّيَاقِ، وَهَذِهِ تَشْكِلُ حَدِيْقَةً نَحْنُ عَلَى ثُقَةٍ مِنْ أَنَّ الكَابِت لا يُرْضِيَهَا.
وَأَلْزَمْتُ إلى الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، جَاءَ أَحَدُ السُّجِيْنِينَ، وَهُوَ الَّذِي نَجَّاَهُ مِنْهَا لِيَوْسِفُ عَلَى السَّلَامِ، بِوَعْوَبَهِ الرَّفْعِ، وَكَانَ الْمَلِكُ وَمِنْ حَوْلِهِ يَنْتَظِرُونَ بِفَارْعِ الصَّبَرِ، بِهِ التَّأْوِيل الَّذِي لَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَ~
رَسُولٌ الْمَلِكُ وَهُوَ فِرْحٌ مَعْبَطَبٌ، أَن يَنْتَظِرُونَ بِهِ التَّأْوِيل مِنْ يِوْسِفٍ عَلَى السَّلَامِ، فَمَنْ يَلْبَنُهُ فِرْحٌ فَيُجِبُّ لِهِ حَظْوَةٌ وَمَنْزِلَةٌ عَلَى الْمَلِكِ، وَهُذِهِ مَا كَانَ يَرْجُوهِ وَيُوقَعُهُ، أَلْمَ يَقُولُ: (أَنَا أَنْتِكُمُ بِتَأْوِيلِ فَارْسِنَةِ). هَذِهِ النَّوْعَةُ الَّتِي كَانَ يَرْجُوهُ رَسُولُ الْمَلِكِ، وَهُوَ مَا جَاءَتْ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ الْعُلَّفِ الْأَوَّلَيْ (الْعُلَّفِ أَرجَعٌ إِلَى الْنَاسِ). أَمَّا الْعُلَّفِ، وَالْمَلِكِ أَوْلِمْهُ بِالصَّبَرِ فَلَقَدْ كَانُوا يُتَأْوِيْنَهُ مِنْ يِوْسِفٍ عَلَى السَّلَامِ، فَيَنْتَظِرُونَ تَأْوِيلٍ هَذِهِ الرُّؤْياَ الَّتِي أُحْدِثَتْ فِي أَنْفُسِهِمْ هَزْةً وَأَقْضَتْ مُضَجَّعْهُمْ، وَأَرْفُقَتْهُمْ، كَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَى مَلْيِكِهِ ذَلِكَ كَلِمَةٌ عَنْهُمْ، وَهُمْ يَتَأْوِيْنَهُ مِنْ يِوْسِفٍ عَلَى السَّلَامِ، فَيَنْتَظِرُونَ أَنْ يُرَافَعُوْهُ مِنْ تَأْوِيلِهِمَا يَرْجُوهُمَا، لِيَلْعَبُوْهُمَا مَا يَرْتَبِبُ عَلَى هَذِهِ الرُّؤْياَ.
كَلِمَةٌ (الْعُلَّفِ) فِي قَوْلِهِ سِيحَانِهِ (لَعْلَمُهُمْ يَغْرُدُونَ) لَمْ تَأْتِ مِنْ أَجْلِ الفَعْلَةِ، وَإِنَّما جَاوَةَ لِيَسْتَقِيرُ بِهَا الْأَمَرِ، وَيَتَمْ بِهَا مَعْنَىٍ، جَاءَ كَلِمَةٌ أسْبَاسِيَةٌ فِي النُّظُمِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمَرُ أَجْلُ الفَعْلَةِ، لَكَانَ أَنْ يَتَأْوِيلُ (الْعُلَّفِ أَرجَعٌ إِلَى الْنَاسِ) فَيَكُونُ الغَفَاءُ عَاطِفَاً لِلدِّبْرِيَةِ وَلَا تَعْمَدُ عَلَى مَنْفَعَتِهَا، وَلْيَؤْهِلُ فِي التَّنْزِيلِ (رَبِّ ۖ تَرَىَّ أَيْنَّ إِيَّاكَ) [عَسَىٍ: ۳٤] جَرَّ بِذَكْرِهِ، (لَعْلَمُهُمْ يَغْرُدُونَ) [طَهُ: ۴٨] وَعَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكَابِتِ، فَإِنَّ لَعْلَمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٍ: (ۖ ۚ وَإِذَا سَأَلَكَ عَبَّادُكُمْ عَنِّي فَۖ إِنَّ كَلِمَةً أُجِبِّ زَوْهَا إِذَا ذَهَبُوْهُ إِلَى مَلَكُهُمْ يَرْسَدُونَ) [بَني]: ۸٦. أَقُولُ إِنَّ لَعْلَمُ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ يَبْتَغَيْنَ أَنْ تَقْرَبُوا رَأْيَةً، جَيْءً بِهَا مِنْ أَجْلِ

خاصة إذا ما.

ذكرت إذا كثيرا في كتاب الله، ولكنها في بضع عشرة مرة ذكرت بعدما (ما)، وكل الذي تسمعه أن (ما) زائدة بعد (إذا) للأكيد، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم تذكر في عشرات المواضع، وذكرت في هذا الأعدد النذر القليل؟ لا أدأ إذا من سر بيان، وطفيلة من لطائف الإعجاز، وهذا ما سنعرضه بعد قليل إن شاء الله بعد أن نذكر لك أمثلة من التنظيمين الكريمين.

1) قال الله تعالى: «فلتكن إلا بثنا خيرا إذا مدعو» (بقرة: 282) وقال سبحانه: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون» (النور: 48)

2) قال سبحانه: «ليس على الدين دعو واحدا ولا صلى يشتمل جماعة فيما طمعوا إذا ماتنا وwäنا ولا صلى يشتمل» (المائدة: 93).

3) وقال سبحانه: «إلا أن الذين أنتموا إذا مسهم ضعيف من الشبيطين تذكروا فإذاأهم مصيرون» (الإعراف: 201).

4) قال تعالى: «واللذين إذا ما أذنوا ليتحملهم لست لأيد ما أملك على» (براءة: 42).
قال تعالى: "وإذا كانوا معفرًا على أمر جامع لذبحه بحبيب هم يستبدلونه" [النور: 2].

(4) قال تعالى:
"وإذا ما ألتزم سورة قبئهم من يقول أو يحكمهم لذبحه فهذا جزاءهم إنما هكذا" [براءة: 24]. وقال سبحانه: "وإذا ما ألتزم سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يرضيك من أحد" [براءة - 77].

(5) قال سبحانه:
"أئتم إذا ما وقع آتكم به الآن وقد كتم به تستمجلون".

(6) قال سبحانه:
"ويقول الإنسان أئتمك لما سوتك أخرج حيا" [مريم - 66].

(7) قال سبحانه:
"أئتم منا وكأ تأكلين من عظمنا أئتمك منا للبضعين" [الصفات - 116].

(8) قال سبحانه:
"حتي إذا جاءها وها شيد عليهم سمعهم وأبصرهم وجلودهم بما كنا" [فصلت - 20].

(9) قال سبحانه: "حتي إذا جاءها فتحت أبوها" [الزمر - 71].

- 43 -
ارجع إلى كل مجموعة من هذه الآيات الكريمة، وستجد أن (ما)، جاءت

حيث استدعى السياق وجودها، وكانت هناك كلمة بيانية وغرض بلاغي، خذ
المجموعة الأولى مثلًا: «ولا يأب الشهداء إذا ما دعواهم»، أن شهادة الشهداء أمر
تعلق به مصالح الناس وحقوقهم، وهؤلاء الشهداء قد يكونون إحراجاً ووضياء من
إدلائهم بالشهادة كان لا بد - إذن - من أن يؤكد لهم هذا المعنى، فجاءت (ما) لتؤدي
هذه الرسالة الكبيرة العظمية.

أما الآية الثانية فلا تتطلب هذا التأكيد، فإنها تتحدث عن واقع المثقفين,
بأنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله لبحكم بينهم، يعرض فريق منهم
إذا انتقلت إلى المجموعة الثانية، ووجدت أن (ما) تتحدث عن فضيحة خطيرة
كانت تشغيل المؤمنين، وهي مصير أولئك الذين ماتوا قبل أن تحرز الخمر تحيزاً قاطعاً
ماذا سيكون مصيرهم في الآخرة؟ فجاءت الآية الكريمة تبين أن أولئك ليس عليهم
بacija فيها طعمموا وإذا اتفقوا وأمنوا وعملوا الصالحات، فالامر - إذن - حاجة إلى هذا
التأكيد، لأنها تتحدث عن المثقفين وتلك سجية فيهم، أنهم إذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا.

أما المجموعة الثالثة، وهي التي اشتملت عليها سورة براءة، فإن الآيات التي
ذكرت فيها (ما) جاءت عقب قوله سبحانه: «فيا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يولونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين» ثم بينت أن
أولئك يارون، ويبدلون ويرأون، سواء كان ذلك بالاستهلال، أم بنظائرهم، فتارة
يأبكم زادته هذه إيمانكم»، وأخرى نظر بعضهم إلى بعض هل براكم من أحد
ولكن الآية الثانية، حلت عند أمر طبيع لأولئك المثقفين (أستاذن أولو الطول
منهم).

وصلى هذا تستطيع أن نفهم ما يبنى من الآيات ألا ترى إلى قوله سبحانه:
«حتى إذا ما جاويها شهد عليهم سمعهم وأصبارهم» من أنه أراد تأكيد هذا
المعنى، الذي دلت عليه (إذا)، ثم ألا ترى كيف استغربه أولئك حيث قالوا

- ٤٤ -
لجلودهم {لم شهدتم علينا} لأن فتح الأبواب بعد المجيء أمر لا بد منه، بل كان المجيء من أجله، وإذا قلنا أن الجواب محذوف، فالأمر فيه كذلك، أي حتى إذا جاؤوا وجدوا، ما يزعجهم ويوهم.

وانظر إلى قوله سبحانه {أيذًا ما آتى نسوة أنجز حقًا} {الرمي - 16} كيف أدرك هذا المعنى، ثم كيف كان القدر عليه {فوربك لتحشرهم والشياطين}. وانظر إلى قوله سبحانه {وإذا ما عضوا هم يغفرون} {الشورى 27} ألا ترى أن الغفران بعد الغضب أمر صعب على كثير من النفس، فكان لا بد أن تأتي (ما) تحت المؤمنين على هذه الفضيلة التي لا بد أن يروضوا عليها نفوسهم، وذلك قوله سبحانه {فأمَّا الإنسان إذا ما أبتله ربه فأكرمِه} {البقرة 160} ونعْمَه، فيقول {ربِّ أُسْكِنْي} {الفجر 15 - 16} تكلفة مذهبة عليه {رَزْقُهُ وَقُوَّةُ نَفْسِهِ} {الفجر 17} تلك قضية فكرة اجتماعية جاء القرآن ليبردها، ولذلك كان القدر حاسماً محكياً {سمكَتْ بَل لَا نُكْرِهُونَ الْيَتَيمَ} {الفجر 17}.

ومن هنا تدرك أن {ما} لم تزد بعد (إذا) كي لا تدعون، وأنها لم تجيء عرضا، وإنما جاءت لتؤدي غرضا، ونعم الغرض الذي أدته.

والحق أن ما سموه زائد هو من أعظم رواض الإعجاز وهو بحق يحتاج إلى مؤلف خاص، ذلك لأن هذه الزوايد التي عدوها خمس عشرة آدابة، ورأيناها تصل إلى مست وعشرين كلمة، بحاجة إلى استقصاء من حيث الآيات القرآنية، وهذا أمر يتطلب جهدا، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا مثل هذا العمل الجليل، والله الحمد والمنة.
الفصل الثاني
الحذف

والنحويون الذين قالوا بزيادة الحروف في كتاب الله تعالى لم يقفووا عند هذا، بل رأوا كذلك أن هناك حروفا مخوافة، فدروها هم كما يحلو لهم. واحذروا أن قضية حذف الحروف لم تتفنن العلماء والمحققين، فهذا ابن جيني في «الخصائص» ينكر على القائلين بالحذف، نحن معه فيها قال، إلا أن الأمر فيها نزنه يحتاج إلى شيء من التفصيل.

فالحروف ليست سواء هناك حروف قد تخذف من الكلمة بهدف التخفيف، ولكنك بعد حذفها تجد دليلا عليها، أي تدرك لأول وهلة أن في الكلمة حركًا مخوفًا وذلك كالباهاء الذي حذفت من أواخر الكلمات، ك «وسر» في قوله تعالى: { واليلى إذا يسر } [الفجر - 4] وقوله تعالى: { فذلك لمن حالف مقاله ونافع ورطب } [إبراهيم - 14]، والبناء في مثل قوله سبحانه: { نظرو هون عليه بالأذى والعدوان } [البقرة - 85]، وأدوات القسم فيها يدل عليها دليل في مثل قوله سبحانه: { أيذى أرسلنا رسنا بالمييتين } [الخليج - 25]، وأدوات النفي في مثل قوله تعالى: { قال إنه تفنن أن كفر يوسف } [يوسف - 85].

مثل هذه إن حذفت، فإن هناك دليلا بدل عليها، فحذفها وذكرها سياق، بل حذفها أيسر من ذكرها، ولكن هناك حروف أكفوها حذفها، دون أن يكون عليها دليل كبعض حروف العطف، وحروف الجر، بل إن هذا الحذف فضلا عن أن لا دليل عليه، فإنه لا يساعد عليه المعنى. وسأضرب بعض الأمثلة لذلك.

ولكنني قيل هذا أراني ضبطوا إلى تسجيل هذه الملفحة الموثة، وهي أن ما قرره بعض النحويين من قضية الحذف والزيادة، يأخذ به بعض الكاتبين عليهم دون
تفضل، ومن دون النظر إلى المعنى، أستطيع معقولية القول بالحذف أو الإزالة، أم لا يستطيع، والأنكسي من ذلك أنها نجد بعض الكاتبين المحدثين، الذين تصدوا للكتابة عن الإعجاز ومنه، يتضمنون هذه الأقوال في كتبهم، على أنها ووجه من ووجه البلاغة والإعجاز البياني، وما هي - يعلم الله كذلك - ويا حبذا لو أنهم رجعوا إلى مصدرين، وهذا ما تقضيه الأمانة العلمية، ولو فعلاً ذلك لكان خيراً هم وأومن قبلاً، فبدل القاريء المستند الذي رجعوا إليه، وسلموه ضم من تبعته هذه القول، وهذا كبير مع كل أسف.

أمامي كتاب «فكرة النظم بين وجه الإعجاز في القرآن الكريم» للدكتور فنحى عامر، يتحدث فيه عن حذف الحرف، وكل الأمثلة التي ذكرها مأخوذة من كتاب البرهان في علوم القرآن «لمزركشي». ولكن الزركشي - رحمه الله - والحق بقال - ذكر في أول بحثه هذا اختلاف العلماء في حذف وحذف الحرف، إلا إذا ذكر عليه دليل.


ولكن الكاتب - ساسة الله - لم يشر إلى شيء من هذا، إنما تحدث عن بعض الحروف التي ذكرها الزركشي، من غير ما إشارة إلى الزركشي، أو إلى غيره. وتأكد بك عند نوعين من هذه الحروف، حروف العطف أولاً، وحروف الخبر ثانياً.

---

١ أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلى (ت ٥٣٩ هـ - ١١٢٩ م) من أئمة الادب والبلاغة، وله شعر. ولد بالمروج، وتوفي في بغداد، وكان أبوه ملوكاً عثمانيين، من قبيلة الجاحظ، ونشأ التعليم، ودرس في الجامعات، ثم تخصص في العلوم، ونشر تفسيره، وعمل في النجاح، وفي المطبوعة والنشر، وكان يكتب في فنون الكتابة، وله كتابات عديدة.

- دار المدى للنشر والنشر، لبنان، ٢٠٠٢، صفحة ٤٧٣.
أولاً: حروف الحذف:


واكتفى الكاتب بنقل هذين المثالين في حذف حروف الحذف، ولكن صاحب البرهان ذكر أكثر من هذا، ومنها:

3 - قوله سبحانه وتعالى "يَا لَيْتْ أَنَّا لَأَلْمَعَيْنَا وَأَبَدَّيْنَا مِنْ دُونِكَ يَا لَيْتْ نَجَالَ" [آل عمران - 118]. قال والتقدير: وولا بالونكم.


5 - ومنها قوله سبحانه وتعالى "ولا على الذين إذما أتوك ليتحملهم فَثَلَّتْ لا أَئِدُّ ما أَحْلَكَرَ يَوْمَ يَقُومَةَ تَوَلُّوا وَأَعْضَاهُمَا نَفْسُ مِنْ أَذْئِمَ حَرْحَةَا أَلَّا يُجَهَّزُوا مَا بَنَّىْهُمْ" [الأنبياء - 92] قالوا: والتقدير: وقتت.

6 - وقد ذكر غير الزركشي أمثلة أخرى، منها ما جاء في إعراب القرآن المنسب للزجاج) "فإذا قال رَبُّك أَنَّكَ لِلْمُلْكِ إِنِّي جَالِلُ في الأَرْضِ خَيْبَةً قَالُوا أَتَجَلَّلُ فِي بَيْتِنَا يَعْمَسُ فِيهِ" [البقرة - 30] قال والتقدير: فقالوا.

(1) إعراب القرآن للزجاج 14/1 80/23
7 - وما ذكره القرطي (١) عند قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمُوتَ" [البقرة - ١٨٠]. قال: التقدير: "وكتاب، فهو معطوف على قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمُوتَ" [آية ١٧٨].

8 - ومنه قوله سبحانه: "لَا يَصِلُّهَا إِلَّا أَلْسِنَةٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَذَبْنَوْنَ" [الإسراء ٢٢]. قال: والقدير: والذى كذب.

9 - ومن ذلك قوله سبحانه: "سَيُولُوْنَ ثُلُثَىٰ رَأِيْعِهِمْ كُلُّ بَعْضٍ" [الكهف ٢٢]. قالوا والقدير: "ورابعهم".

10 - ومنه قوله سبحانه: "فَأَلْدَّنِينَ حَتَّىٰ قَبَلُهُمْ أَكْتُلُوْنَ رَبَّهُمْ هَتَوَأَلَّوْا، أَلِدَّنِينَ أغْوَيْنُهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" [القصص: ٣٢]. قالوا: والقدير: "أَغْوَيْنُهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" [القصص: ٣٢].

11 - وما ذهبوا فيه إلى الحذف كذلك قوله سبحانه: "صُمْ بَكْرَ عَمِّي" [البقرة ١٨٨، وآية ١٧١]. قالوا: والقدير: "صُمْ بَكْرَ عَمِّي".

ثانياً: حروف الجر

1 - قوله سبحانه: "فَأَهَمِّنَا الْصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" [الفاتحة - ٥]. قالوا: والقدير: "فَأَهَمِّنَا الْصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ".

2 - قوله تعالى: "وَمَن يَرْجِعُ عَن مَّلَّةٍ إِبَرَّهِيمَ إِلَّآ مِن سَبِيعٍ نَفْسِهِ" [البقرة - ١٣٠]. قالوا: والقدير: "فِي نَفْسِهِ".

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الإدريسي القرطي المصري، كان من عبيد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الراهدين في الدنيا، والمشغولين بما يعنون من أمور الآخرة، أوقفته معرفة ما بين توجه وعبارة وتصنيف. توفى سنة ١٢٧٦ هـ. توفي سنة ١٩٥٢ م. الجامع لأحكام القرآن - مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة - ١٣٧٢ / ١٩٥٣ م. ٢٠٨٢/٢.
3 - قوله تعالى: ﴿ولا تعزروا عُقْدَة الْبَكْرَة حَتَّى يَبْلُغَ الْبَكْرَة أَجْلٍ﴾ [البقرة ٢٢٥].

4 - قوله تعالى: ﴿إِنَّما ذَلِكَ إِبْلُ الْعَبْدِ يَجْفِي أَوْلَاهُمْ﴾ [آل عمران ١٧٥].

قال التقدير: [مغفوكم بأوليئكم].

5 - قوله تعالى: ﴿وَخَيَّارٌ مَّوْمِعٌ فَوَمَّاءٌ سَعَينَ رَجِلًا﴾ [الأعراف ١٥٥].

قال، التقدير: ﴿واختار موسي من قومه﴾.

6 - قوله تعالى: ﴿فِي كُتِبٍ لَا يَضُرُّ يَدَ يَدٍ وَلَا يَبَثُّي﴾ [صلى ٥٢]. قالوا: والتقدير:

لا يضل عن ربي.

7 - قوله تعالى: ﴿لَاتَبَغُونَ دُعَاءَ الْرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعْوَاءَ بعضاً قَدْ يُحْمَلُ الْخَطَأَانَ﴾ [المائذ ١٣].

الخَطَأُ، ﴿النور ١٣، ١٦٣﴾.

والحرف الذي قدرنه في هذه الآية الكريمة (على)، ومعنى الآية عندهم: لا تجعلوا دعاة الرسول بينكم كدعاء بعضكم على بعض.

8 - قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلْنَا الْآَرْضَ عَيُونًا﴾ [القمر ١ٖ]. قالوا: والتقدير:

وهنجزنا من الأرض عيونًا أو (fn) [الزمر ١٧].

9 - قوله تعالى: ﴿فَمَكَّنْنَا لِكُلِّ ءاِيَةٍ بَيْنَ الْيَوْمِ الْأَخِرِيَّ وَالْيَوْمِ الْيَلِيدِ﴾ [المزمور ١٧].

وأكثري بما ذكرتلك، فإن أردت مزيداً، فارجع إلى كتاب البرهان في علوم القرآن، وكتاب إعراب القرآن، المتضمن للزجاج.
مناقشة ما ذهبوا إليه:

حينما نظر في هذه الآيات الكرامات نظرة تدبر، نجد أن القول بالحرف مرفوع ومبرود، ولبن أجاوزًا لأنفسهم القول بحرف الواو، وحرف حرف جر، فلا أدرك كيف أجاوزًا لأنفسهم القول بحرف (الفاء)، والفلاء للترتب والتقييم، وكيف يمكن أن يخفف حرف يدل على معنيين، إن التبصري في فهم القرآن واجب، وإن التكلف في تأويله مقوت وهو خروج عن سنن البيان، ومنهج الإعجاز، وروعة الإنجاز.

إن القول بالحرف فيه إجمال لنسباق ومعنى كليهما، بل هو تهوين لشأن النظام كذلك، فقد مثل صاحب البرهان لهذا الحرف بقوله سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعُوا مَا نَزَّلَنَا} [هود - 5]، قال: ومن المعنى: {فقال يا قوم}، ولكن ما الدليل على هذه الفاء التي حذفت؟ ومن العجب أن جعل الدليل ما جاء في آية أخرى {فقال ينتظرون أعداء الله} [المؤمنون - 32]. الدليل على حرف حروف من آية، ذكره في آية أخرى.

ويقيني بدقة النظم في كتاب الله تعالى، يقيني وبقيك هذه المنزلات، وإذا أردنا أن نفهم القرآن هذا الفهم، وأن نخرج آياته على هذا التأويل، سيخطط الأمر، ويتحطم الفكر، ويتورق السطر. فماذا نقول في قوله سبحانه: {قُولُ تَسْتَغْفِرْنَآ إِنَّا كَانَ نُضَلُّونَا فِي سَيْرِنَا} [هود - 112] {هذا ما آتى عنده} [المرسل 13]. ألقى في جهنم كل كفر معتدي {المتقني} {من عهد المنضرب}. {الذي جعل عل الله إنها أطرَّ النور} في العذاب الشديد {ولكن كان في ضلل} {بِعَبْسِهِ} [ق - 32، 27]. { ترى أن تكون عن عذاب الحرف}. فنقول في قوله سبحانه {قال قرينة} {فإن هان ووا مذوقة}، دلت عليها الآية التي قبلها، أم تكون عن عذاب الزيادة فنقول إن الواو في قوله {وقال قرينة زادته} لأن الآية التي تليها جاءت بدون واء.
وكذلك قوله سبحانه: ﴿إِذَا تَحَيَّنَكُمْ مِنَ الْفِرْعَونِ يَسْمُونُكُمْ سُوَّةَ الْجُذَابٍ﴾ [الأعراف - 39]، وفي آية أخرى ﴿يَسْمُونُكُمْ سُوَّةَ الْجُذَابٍ﴾ [الأعراف - 172]. أفكون من عشاق الزواج فندعى زيادة الراوي في الآية الثانية، لأن الآية الأولى جاءت خالصة من الراوي؟ أم نكون من هواة الحذف، فندعى أن الآية الأولى حرفت منها الراوي وهذا كثير في كتاب الله تعالى.

والحق الذي لا ميرة فيه، والذي يتفق مع شفاية الأسلوب ونضارته، وسداد المعنى ورونقه، وجلاله ومتانته، أن لا حذف ولا زيادة، إنما جاءت كل واحدة على أبعد صورة، وأعذب وأعجب تركيب.

أولا: حروف العطف

والليك بإنجاز ما يؤمن نفسك، ويرهف حسك، ويوجه روقا، ويروقك ذوقا، وسأرتب لك الآيات على ترتيب السور:

1- قوله تعالى: ﴿فِيُبَيِّنُ لَمَّا كَانَ مَّعْنَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 171]. قالوا:

إن هناك واخرين معذوفين، والتقيدي: ﴿فِيُبَيِّنُ لَمَّا كَانَ مَّعْنَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، واستدلوا لذلك بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَيْنَا حَسَنَاتٌ وَبَيَاءً فِي الْغَزْيَةِ مِنْ بَيَاءٍ﴾ [الأمان - 39].

ونحن إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي جاءت فيها هذه الأوصاف، فإننا سنجد أن هناك آتين في سورة البقرة، إحداهما في سبيل المنافقين، وهي هذه الآية، والأخرى في سبيل الكافرين، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمِثلُ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا دَعَاءٌ وَيَدَاهُمْ صَمُّ بَكْرُعٌ حَسَنٌ لَّا يَعْتَلُونَ﴾ [البقرة - 171].

(1) أعرب القرآن الناسب للزجاج 8/3/2003

- 52 -
وسورة البقرة مدنية - كما نعلم، وهناك آيتان أخرى في سورتين
مكيةين، إحداهما في سورة الأعراف، وهي الآية الأئفة الذكر، والأخرى في
سورة الإسراء، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَا حَشَرَهُمْ يَاوْلَىٰ لَقَيْمَةٌ عَلَىٰ رَجُوٰهُمْ
وَبِكُلِّ مَّيْدَانٍ مَّضَىٰ﴾ (الأية 79)، وإذا جاءت آية الإسراء على هذا الترتيب،
مغابرة من حيث نظمها حيث قدم فيها ما أخر في الآيات الثلاث، وما ذلك إلا
لأن الحديث فها عن يوم القيامة، وهو حري أن تقدم به صفة العمى، لأنه
أشق ما يكون عليهم في ذلك اليوم.

أما توزع حرف العطف بين هذه الصفات، فالمي نسبه - والله أعلم
بما ينزل - أن الآية الكريمة أرادت أن تعدد لنا أوصاف الكافرين، فبعضهم
يشرون عمياً، وبعضهم بكياً، وآخرون صياً، فليس المراد جمع هذه الصفات
الثلاث لفنة واحدة، وذلك ما نستند في فهمها إلى كتب الله تعالى، قال
 سبحانه: ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ مُعَيْثِنُوا فِي الْيَوْمِ التَّمُسْتَرُّ وَخَشَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْطَىٰهُمْ رَبُّكَ لَمْ يُحْضِرِّنَّهُمْ أَمَّا وَقَدْ حَصُصُتْ مَيْدَانُهُمْ ﴿[الله 124، 16].

ثم إن حشرهم على هذه الهيئة منسجم مع المنطق، لأنهم إذا كانوا عمياً وبيكاً
وصياً، سيشعرون كثيراً من أنواع الإحساس، لكنهم إذا كانوا على صفة واحدة،
فإنهم سيشعرون باللوعة والضيق، لأنهم إن فقروا حاسة من هذه الحواس فسيبقى
لهم غيرها، كي يشعروا بالألم والعذاب.

أما آية الألعاب، فيذهب المفسرون إلى أن (الواو) فيها للاستثناط، ومعنى هذا
أنها تتحدث عن المكتفين في الدنيا، ويرجع أن (الواو) إذا جاءت لتغيير الوصيفين،
وإذا ترك العطف في غيرها للكتنة اقتضت ترك العطف، هذا ما تقوم علامه الرافدين
الشهاب الألمازي (1) - رحمه الله - ولكن لكي نذاك لنا هذه الكتنة التي اقتضت ترك
العطف في آتي البقرة.

(1) روح المعاني 147/7.
والذي يلوح لي بعد تأمل أن الأمر ليس كا ذكرروا، وأن العوا ليست
للإنسان، وإنما هي للعطف، واستبدل لذلك - والله أعلم - بسياق الآيات، فالآية
التي قبل هذه الآية منها من دابة في الأرض ولا طائر يثير بجناحه إلا أمثالكم
ثم إلى رجع بشرك، والذين كذبوا بأياتنا صم ويكيم في الظلمات»، فأتى ترى أن
الآية الكريمة، إما جاءت عقب الحديث عن الحشر، فبعد أن ذكر الحشر لهذه الأمة
جسماً، خص الحديث عن أولئك المكذبين، لأنهمهم المقصودون، أما دواب
الأرض والطير، ليس هناك غرض ليتحدث عنها سبب، لما بعد هذا الحشر.
وعلى هذا يكون العطف في الآية حالا على تغيير الذوات والأنواع، لا على
تغير الصفات فحسب.
أما آتا البقرة، فلم يكن حاجة إلى العطف فيها، لأن الهدف بيان أن أولئك
القوم لما لم يستعملوا حواسهم فيها ليشعدهم إلى الخير، ساروا وكأنهم قد حرموا هذه
النعم جسماً.
وهكذا نرى أن ما قدروه من حرف محذوف لا يتفق مع جلاك النظم ودقة
المعنى، وروعة السياق، وجمال الأسلوب.
2 - وفي سورة البقرة أيضا، قوله سبحانه: "في إذا قال ربك للملائكة إني جاعل
الأرض خليفة، فأنزلوا فيها من يسجد فيها ونسنك الدماة" [الآية 30]،
وذلك قوله سبحانه: «قالوا أتخذنا هزواً» حيث قدروا (فاة) محدودة في
الآيتين.
ولكن إذا أمعنت النظر في النظم الكريم، وجدت موجهة المعنى فيها
جاء عليه هذا النظم.
في الآية الأولى «نحن الآيات، بل بل للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة»، ولو أنه قيل "قالوا أتخذ فيها" نفهم من هذا أن قول
الملائكة كان مرتباً على قول الله، دون مهله ولا ترتيب، وذلك مالا يتفق مع

- 54 -
جلال الملائكة، وتعظيمهم وخشيتهم لله تبارك وتعالى، هذه ألفاء التي قدروها، يخلل بها العين.

والذي نفهم به الآية الكرية ما جاء عليه النظم، فحينما قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا عِلْمًا ﻟِّلْعَالَمِينَ (البقرة: 269)﴾، فالجملة القرآنية جاءت جواباً على سؤال مقدّر في النفوس. وهذا لا شك له أثر نفسي عند المخاطبين جميعاً، لأنه يكمّن من المشاركة في استخراج المعاني في الآية الكرية، ولذا قرر علیاء البيان، وأئمة البلاغة، أن الأمر حينما يكون من باب الاستناد، فإنه يكون أكثر تأثيراً، وهذا ما يذكره في باب الفصل والوصول.

الآية - إذن - من باب الاستناد البيان.

٣ - كذلك قوله سبحانه ﴿قَالُوا أَخْلَصْنَا مَنْأً ( البقرة: ٢٧)﴾ فإن أمر الفاء التي قدروها معروفة لا يستطيع الاعتقاد، ويقال فيها ما قبل فيها قبلها. الآية - إذن - من باب الاستناد البيان، وهو أحسن هنا وأكثر تأثيراً من العطف الذي تكلفنا له الفعل بالكلف.

٤ - أما قوله سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوتَ ( البقرة: ١٨٠)﴾ حيث قدرناه (واو) عاطفة تجمع بين هذه الآية وبين التي قبلها وهي ﴿كتب عليكم الفصاص في القتل﴾.

والحق أن تذكر الآتيين يحسن - إن لم نقل يجتمع الفعل بعد العطف، ولقد فطن أبو حيان - رحمه الله - في البحر المحيط، هذه الدقيقة، حيث رد على القائلين بالكلف، وإليك خلاصة ما قال:

إذن قوله سبحانه ﴿كتب عليكم الفصاص في القتل﴾ يدل على أن هناك أناشاً
سيقتص منهم فيقتلون، وهؤلاء بالطبعهم من الذين يحضرهم الموت، فقوله سبحانه: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت" فإنما هو متعلق بما قبله، لأن هؤلاء الذين حضرهم الموت، منهم أولئك الذين سيئلامهم القصاص، فكأنه قيل: "فهل كتب على هؤلاء الذين سيقتص منهم قبل أن يقتلون شيء، ففجاء الجواب يشملهم وغيرهم، فكأنه قيل: "كتب عليكم وعلى غيرهم من حضرهم الموت، إن ترك خيراً الوصية. ويوئد ما ذهب إليه أبو حيان جميع ضمير المخطوبين في الآتيين.

۵٠ - أما آية آل عمران: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخَافُوا بِبَطَانَةٍ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيكُمْ خُبَالٌ" [الآية ۱۸].

فالفتيحة أن القول يوجد حرف مخوذ يفسد به النظم، فليس معنى الآية: لا تتخذوا بطانة من دونكم ولا يالونكم خبالاً، لأنه يؤدي إلى أن هذه البطانة منهم من يالوننا خبالاً، ومنهم غير ذلك، وهذا لا تقصده إليه الآية من قريب أو بعيد، وإنما المعنى لا تتخذوا بطانة من دونكم، ثم بين القرآن الأسباب التي من أجلها نهاننا عن أن نتخذ الكفار بطانة، فكأنه قيل لم؟، فذكر أسباباً كثيرة، كل واحد منها يكفي كي لا نولي أولئك.


۶٠ - أما آية التوبة: "وَلَوْ أَلْقَاهُمْ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا مَا أَنْوَلْنَاهُمْ فَلْتَ لَأَجْرَ أَحَدِيْمَا أَحْمَدَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّيْنَٰ لَيْسَ لَهُما أَحَدُ مَا يَكُونُ" [الآية ۹۲].
فذكرت أن النظام هكذا: ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم وقت.
لا أجد ما أملكهم عليه تولوا؟.
والحقيقة أن هذا نظم ينوعه القرآن الكريم، ذلك لأنهم ما أنوا النبي، إلا ليتحملهم، ولكن النبي عليه وسلم وفد كرمه الله فجعل رزقه كفا، قال لهم ما قال ففعل الشرط وجوبه خاصان بالنبي الكريم، والذين قالوا بحذف الواو جعلوا جملة: قولوا جواباً إذا. وهذا الذي ينوعه النظم كما قلت من قبل، لأنهم ما جاءوا النبي من أجل أن ينولوا باكين.

المعنى الذي يلازم النظم - إن هـ فلن تكون جملة أنوك فعل الشرط، وجملة قلت جواباً، إذا ما أنوك لتحملهم قلت لا أجد ما أملكهم عليه. وهنا تستشف النفوس لتعرف ما كان من شأن أولئك البريئة، فكأنه قبل فماذا فعلوا بعد أن سمعوا من النبي ما سمعوا؟ قيل: قولوا وأعينهم يقبض من الدمع حزناً، وهكذا نجد القول بالحذف، قولن مردودا صناعة ومعنى، ونسفا فيها.

7 - قوله تعالى: { سيقولون ثلاثمائة رأيعهم كتبهم ويقولون سبعاؤهم ساداتهم كتبهم } [الكَهْف: 22].

وقد قدرنا أن هنا وآوين محدودتين، إحداهما: {ورأيعهم}.
والثانية: {وساداتهم}.

وقد نسوا - عند الله عنهم - قوله سبحانه: { روحا بالغيب }، وعمري ما يشير القرآن لو وضع هذا الواو، إذا كانت من صلب النظم فيه، وعمري كذلك لم ذكرها مرة واحدة، وكان من الممكن أن تخذف وأن يقدرها المقدرون؟

(1) أعراب القرآن للزجاج: 204/8.

- 57 -
إن تلك جزءًا على كتاب الله تعالى. ما كنا نود أن يقم عليها مثل أولئك الذين نحن وطنهم نحن، ولقد رأيت تعلقاً للراعي - رحمه الله تعالى - في كتابة وإحراز القرآن، بل استمعت عن بعضهم في شأن هذه الواو أجزئيه، منا ما بيني، قال رحمه الله

إذا كنا كنا، أي الواو في هذه الحياة، دون غيرها مما تقدمها، ثم ذكر

أن الذين قاؤوا هذه السعة كانوا على ثباث ما قالوا ولم يرجعوا بالغيب، وهذا فصلوا بين القوم الذين كانوا ليس منهم إلا في العبد، ورتفاع هذه الواو من الخلف، وقال: تعالوا، يا شاهدون، إلا الشك، وجعل سياق الكلام يؤكد

أن الخطاب ينحصر على الغفلة، وإن القول لم يعد مصحوب على القطع

التحفيز، وهذا قال اللهم عبانم. إذ وقعت الواو انتقطعت المادة، أي لم ينق

عن ما حظوها، وكثيرًا ما يندى اسم سيدبة، ونابههم كلهم، نتأمل كيف نظمت هذه

في وقعته، وكيجمهك تكون البلاغة المعجزة التي تجعل في تركيبة

الكلام أحياناً كنبر الخلق الحي. وإن

قالت سجاته: فأكل ميتين حقهم يقول: إنما يقولون: لا تأبى أغنيت أغنيت

لا تأبى أغنيت أغنيت، لا تأبى إيانا يعبدون [القصص - 37].

قال النبي ﷺ: "حمد الله تعالى:

إن هذا الواو مختارة، والتقدير: وهؤلاء الذين أغنيت وأغنيتهم كا

غويتاه...

ولنقدم: بأن الدين تدبر للآية الكبرى، من شأنه أن يجعل المتدبر، يلفظ ويرفض

هذا القول، ولا يسمح لنفسه أن يتلفظ به، يقول الله تعالى: فوم ينديمهم

مصنف صائق الراجعي - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - دار الكتاب العربي / بيروت - الطبعة

الناصعة 1993 م - ص 79 - 80.

قول أبن شريك الحسن كنتم تزعمون، قال الذين حق عليهم القول رنبها من الدين أغوينا.
ولا أدرى لم قدروا وايا أخرى مذوعه في قوله سبحانه: {تابنا إليك}?
فليس أحد الموضوعين أول من الآخر بهذا التقدير.
إن القول بالحذف، يؤدي إلى ركآة النظم وهو ما يُجعل عنه كتاب الله تبارك وتعالى، فكيف يمكن أن يقال {هؤلاء الذين أغوينا وأغوننهم، والعطف يقتضي التغيير والجملتان من وارد واحد، ونذهب إلى ما ذهب إلى إشارة التفسير والتحو، فابحنا} في بحر، ونذهب ذهب إلى أن قوله سبحانه: {هؤلاء الذين أغوينا} مبدأ صفته: {الذين و{أغوينا} صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقوله {أغويناهم كا غونيأ} هو الخير، وإنما جاز أن يكون خيراً لأنه مفيد، أي أغوينهم كنها. وذهب أبو علي الفارسي {إلى أن قوله سبحانه: {هؤلاء الذين أغوينا} مبدأ وخبر، وقوله {أغويناه كا غونيأ} جملة مستنثأة.
ونحن إذا تأملنا الآية الكرمة وتذربناها حق التدبر، فربما يترجح لنا قول الفارسي، ذلك لأنه قوله {هؤلاء الذين أغوينا} كلام مستقل بذاته، ثم جامع الجملة الثانية مستنثأة لأنه كيل: {أغويناهكما غونيأ} فإنه أغويناهم؟ فقيل: {أغويناهم كا غونيأ. وسواء اختير قول أبي حيان، أو قول الفارسي، فإن القول بحذف الحرف مستنثأ، من حيث الوضع والطبع معا.}
9- قوله تعالى: {فخرج على قومه} في ذبه، قال {الأثني} بتيت لننا مثل ما أوتي قرون أجر لا رحمة عليها {سورة و{قول {الدين أغوينه و{ذكر} بأنا للذين أغوينه أمنًا وعمل صالحاً ولا يغفرون {الفصل motivating 79}}

(1) البحر المحيط
(2) الجمل على الجلالين
128/2
306/3
59
قالوا: إن هذا واعيا محذوفا، والتفاضل: "فخرج على قومه في زينته وقال الذين..."، ويا ليتهم قبل أن يقرروا ما يريدون، أن يبقوا مع حسن القرآن ونصبه. إن العطف يقضي الاشتراك - كا نعلم - فإذا قلنا: فرح المجاهدون وحزن القاعدون، فنحن نود من أول وحلة أن نذكر الاشتراك. والنظم في الآية ليس من هذا القبيل، وإنما يريد أن يقرر القرآن إن قارون حينهاخرج على قومه في زينته اختالف الناس في شأنه، لأن منهم صاحب الإيان القوي، ومنهم دون ذلك، فلم ير القرآن أن يجمع بين الخروج وبين الفقر، وإنما المعنى الذي يعين عليه النظم أنه حينها قيل: "فخرج على قومه في زينته"، تسائل المتسائلون، فماذا كان شأن الناس؟ فقال: "قال الذين يريدون الحياة الدنيا.

ثم إن حذف الياو يفيد نكتة بديعة أخرى، وهي أن هؤلاء الذين يريدون الحياة الدنيا، لمجرد رؤية قارون فيها هو عليه من زينة، قالوا ما قالوه.

10 - قوله تعالى: "ورأوا من عطف مضمور محذوف. والتلقيدي "وجوه بومئذ نامة". ولم أجد من المسرين من أروى قوله ذا ظما، اللهم إلا جملة عند أبي السعود، نقلها عنه الألوسي والشيخ الجمل، وهي قوله: إنه ترك العطف "إذانا بكمال نبأين مضمومينهما".)

وقد وقفت عند هذه الآية، وعندهما يشبهها من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه: "وجوه بومئذ نامة" ضاحكة مستبشرة ووجه يومئذ علمية غريبة [عبس- 80 - 45]. ولعل عذر القائلين بالحذف، أنهم وجدوا هذه الياو ج희 بها في هذه الآية الكريم، ووجه بومئذ عليهم

(1) الجمل على الجلالين 4/267.
ولكننا حيناً مع النظرة في الآيات، نجد فروقاً بين الموضوعين، فانت ترى أن الآية الأولى التي عطفت بالواو، كان الحدث فيها حديثاً جميلاً، غير مفصل ووجهه بعث منه صاحبة مستبشرة وجهه عبدها مغرفة تفرقها قررة، ذلك لأن ما قبل هذه الآية، يستدعي إجابة عن الفريقين، وهو قوله سبحانه: [لا أريكم منهم يوم القيامة يُشيّعونه] [عبس 7]. وهذا بالطبع يشمل المؤمنين والكافرين معاً، ولا يخص فريقاً دون فريق، إذن لا بد أن يبين حال الفريقين فقال: [وجهوا]، [وجهوا].

أما سورة الغاشية فالأمر مختلف فيها اختلافاً كبيراً، فالحديث من أول السورة كان عن فريق واحد، ثم هل أتيك حدث الغاشية [الغاشية 1]، وهذه التسمية تشير إلى ما يغشى أولئك المعرضين من العذاب، ثم بدأ يفصل في شأن أولئك الذين يفسدوهم العذاب، فيف وفصل وشرح كثيراً من أحوالهم، وما بلقونه وما يصلونه، وما نواع طعاتهم. وما أتى من أمرهم انطلق للحديث عن الفريق الآخر، وكانت رودة النظم ووجود السبك، وفخامة المعنى تقتضي ترك العطف، لأنه لو عطف، لكان الغاشية للفرقين معاً كأي في قوله تعالى [كل أمركم ومنهم يوم القيامة يُشيّعونه]، ولكن الأمر ليس كذلك كأي عرفت.

إذن الحدث من أول السورة عن فريق واحد، فليأتهي من شأنه جاء دور الحديث عن فريق آخر لم يتحدث عنه من قبل، فكان من الأولي أن يكون الحديث عنه بطرق الاستشاف، ذلك ما يبدو في والله أعلم عرده - فيها يتصل بهذه الآية الكريمة. وأرجو أن تتأمل ما قلت له، لتذوقه كما ذكرت.

۱۱ - قوله تعالى: [لا يُصَبِّحُهُم إلا الأُسْتَنَافُ] [اللبس ۱۵]. قالوا: وأصل النظم والذي كذب وتولى، فجعلوا الذي بتص النازلين الأشقي أولاً، والذئب كذب وتولى ثانياً، ولا أدرى في هذا التكلف.
والملحق هو؟ أين يكون هناك ملحق من الذي كتب وتولى؟ ولماذا كان هو
الأشقر، أليس لأنه كتب وتولى؟ إن الذي عملهم على القول بالمحف، هو
أينما جعلوا الأشقر وصفًا لشخص معين، مع أن القرآن لم يحددنا عنا يستد
ذلك القول ويصححه، إن الأشقر هو نفسه الذي كتب وتولى. فالقول
بالمحف - إن ذكر - كديد، غير سديد.

هذه بعض حروف العطف التي قالوا بها، ولا تظن أننا نستطيع
الاستقصاء، ولا نود كذلك، وإنما تريد أن نأتي لك بأمثلة لتكون عونا وهدايا
فيها يعرض لك أو يعرض عليك من هذا القبيل.

ثانياً: حروف الجر:

1. قال تعالى: {أَهْوَأُوا الْبَيْنَاءَ الْمُسْتَقِيمَةُ} [الفاتحة ۶].

يقول صاحب أعراب القرآن، إن في هذه الآية حرفًا مخذوفًا، وهو
(الى)، والتقدير {إمدانا أن الضراط المصتقيم}، ويستد للذالك بمثل قوله
مسبحان وَإِنَّك لَتَبْتَدِئَ إِلَى ضَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى ۵۲].

ربادي ذي بذة أحب أن أقرر هنا أن النظام القرآني استنادًا بالدقه
والإحكام، وإن هذه الدقة نسجت وتناسب مع السياق، وحل النظام إلا
ترتيب النظم في النطق، ترتيبا يتفق مع المعنى المراد، ولو أبدا أمعنا النظر في
الآيات لرأينا ما يثلج الصدر، وتهتز له النفس طرا، والقلب خشوعًا.

ولنдесь هذه المادة في كتاب الله تبارك وتعالى، وكيف جاءت على
نسق بديع، ونظام محكم أن فعل الهدية منجى في كتاب الله تعالى مسندًا إلى
الله حنيفة، وإلى غيره حنيفة آخر، ذلك لأن الهدية إما أن يرد منها التوفيق
والإيصال، وإما أن يرد بها الدلالة والإرشاد. والفاعل الحقيقي في هذه

(1) أعراب القرآن ۱۰۲/۱.
المعنى هو الله تبارك وتعالى، إلا أنه بمعنى الثاني قد تنجل إلى غيره سبحانه.
لذلك جاءت هذه المادة من كانونًا لإغفار في كتاب الله سبحانه.
قد جاء في نزوله

{السورة}_{المنبر} {السورة}_{المنبر}

{الفقرة}_{الفقرة}

{النص}_{النص}

{النهاية}_{النهاية}

وعلى هذا ندرك أنها ظاهرة أصولية في كتاب الله تعالى، وهي من دلائل.
الإعجاز - كما قلت من قبل - لأن الله هو المبين الحقيقي، والموفق. أما هدابة غيره سبحانه، فإننا هي إرشاد ودلالة لا يستقل أصحابها بها، وإنما هي تابعة لمسيحته سبحانه، آليًا إلى قوله سبحانه نسبه ٤٨٧. إنك لنبدي من أحيين ٤٨٨، وليكن الله يليد من يسأله؟ [القصص: ٥٦]، وقوله سبحانه ليس عليك ضربهم ولكن الله يمين من يسأله [البقرة: ٢٧٢].

وهكذا ندرك أن القول بالحدف، ليس أغرب منه إلا ادعاء الزيدة في قوله سبحانه ٤٨٩. إنك لنبدي إلى صرط مستقيم إلى [الشورى: ٥٢]. أعني زيادة (إلى) قياسا على قوله ٤٩٠. أهدينا الصراط المستقيم، والهذف والزيادة توأمان القرآن منها براء.

وأخيرا ما أُحرانا أن نندبر هذه الآية: ٤٩١. في هل من شركاء يكمن من يبدي إلى إخون الله يبدؤي للخير [يونس: ٣٥]. فانظر كيف كان الحديث عن الشركاء، وكيف كان الحديث عن الله، وكيف اختالف الفعل في الموضعين.


ولقد ذهب الأئمة إلى أن قوله تعالى «سنه نفس» معاً إلا من جهله لأن السفه معانه الجهل، وتقدير الحرف المخوف، بحيث يصير النظم سنه في نفسه، ينبوغ عنه النظم الكريم - كأ قلت - فليس المراد جهله في نفسه، وذلك أمر خاص به، وإلا المراد جهله نفسه واستخفافه بها. قال الشيخ الجمل رحمه الله تعالى:

قوله: جهل أنها خلوقة الله، أشار بهذا إلى أن سنه مضمن معنى جهل.
وقوله: أو استخف بها، أشار به إلى أنه متعبد بنفسه من غير تضمين، وهمه
وجهان حكايتهما السمين، ونصه قوله نفسه: في نصبه وجهان أحدهما، وهو المختار أن يكون معفولاً به لأن ثعلباً والمرد حكياً أن سبه يكسر فيتعدى نفسه كما يتعدي سمه بفتح اللفاء والتشديد، وحكى عن أبي خطاب أنها لغة وهو اختيار الزمخشري فإنه قال سبه نفسه انتهتها واستخف بها، والاثناء: أنه مفعول به، ولكن على تمضين سمه معني فعل يتعدي فقدره ابن جه وإبراشج معي جهل، وقدره أبو عبدة بمعنى أهلك.

قوله جهل أنها مخلوقة: أي لم يستدل بما فيها من آثار الصنعة على الوحدانية وعلى نبوة نبينا بالعجزة، والعرب نضع سمه موضوع جهل، لأن من عبد حجراً أو قرناً أو شمساً أو صناً فقد جهل نفسه لأنه لم يعلم خلفهما).]


كذلك، ولكننا نرد القول بالحذف:

أولاً: لأن الآيتين جاءتا على نسق واحد، وتتامان واحد، وكان هذا كافياً لرد قول أولئك وردتهم عن قولهم.

ثانياً: إن القول بأن عزم لا تتعدي بنفسها، قول يعوزه الدليل، وخير شاهد على ذلك التنزل.

ثالثاً: إن عزم هنا ضمنت معنى آخر، والتضمين ببلاغة كا يقرر أثمة البيان، كان يقال: ولا تنزوا أو تتموا عقدة النكاح، أو تباشروا، أو نبتوا، أو تنفزوا.
أعلم أننا لا نوجب القول بالتضعين، ولكننا ذكرناها مسألة من
يرى أن عزم لا تتعدى بنفسها، ونحن لستنا مع هذا الرأي، فإن استدلوا
بالشعر كان دليلنا القرآن، وهو خير ما يستدل به.
أما قولهم: «عزمت على كذا» أو «عزمت عليك أن تفعل كذا»، ففي الأول
معنى التصميم، وهو يتعدى بـ «علي»، وفي الثاني: معنى القسم.
والخلاصة: أنه لا داعي للقول بالخفف - كنا رأيت...

۴ - قوله تعالى: ﴿أَيُّنَذِّرُ الْمُسْلِمِينَ يَتَّخِذُونَ أَوْلِيَاءَۚ﴾ [آل عمران ۱۷۵]،
قالوا: والمعنى ينفون بأوليائه، بدليل فلا تخفافهم.
ولكننا نقول: لم لا يكون المعنى «يتخذون أولياء»، وهذا ما يدل له قوله
سبحانه وفسبحانه. إن خوف يمكن أن تتعدى للمنعولين بنفسها، دون
واستف حرف الجر، وقد مرت لنا رأي آخر في تأويل الآية فيها مضي.
۵ - وما كادوا يجمعون على الحذف فيه قوله سبحانه: ﴿وَأَخَافُ الْمُوسِيُّ قُوْمَهُ بِرَجُلٍ لَّبِّيْقَتْنِیاً﴾، [الأعراف ۱۵۵] وأصل المضموم عندهم: واختار موسى من
قومه.

ولكن بعد تأمل في الآية الكريمة، نجد أن ابقاء الآية على ما هي عليه،
أصد نظرة، وأصبح حكايا ذلك لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه، هذا من جهة
ومن جهة ثانية فإن معنى الآية دون اللجوء للحوذ في مزية، سوف تنطلق
عند القول بالخفف، وإليك بيان ذلك:

وإذا قلنا: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فإن القيام هنا تشتمل
بني إسرائيل جميعاً، ويصير المعنى: «اختار موسى من بني إسرائيل سبعين
رجال».

ولكننا إذا أبقينا الآية على ما نزلت من عند الله تعالى، وكما قدر العزيز
العلم، يكون المعنى هكذا: «واختار موسى قومه، أي اختار موسى قومه الذين سبقوهم معه للمائدة، فتكون كلمة القوم هنا خاصة لأولئك الذين اختارهم موسى - عليه السلام - لا تهم بني إسرائيل جميعًا، ثم ذكر هؤلاء القوم الذين اختارهم موسى مزيد بيان، فقال سبعين رجلاً، فيكون هؤلاء الذين اختارهم موسى ذكروا مرتين، ذكروا أولاً بعنوان القوم، ثم ذكروا ثانياً بيان العدد، ولا شك أن هذا فيه من التفخيم، والتعظيم ما لا يوجد في القول الأول الذي يعتمد الحذف، لأنهم على ذلك القول لم يذكروا إلا مرة واحدة، ألا ترى إلى ما أصاب موسى - عليه السلام - حينها أهله؟

فوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَقْلِبْ الْقُرُونَ الْأَوَّلَةَ ﴿قال عليه عند ربي في كتب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ (طه 56-57) والحرف المهدود الذي قدره هذا (عمن)، أي لا يضل عن ربي.

وأعجب، ويعجب معي كل منصف كيف استسلموا مثل هذا التقدير، فهو مع ما فيه من تكلف، يذهب بجلالة النظم، وصحة المعنى، وإليك بيان ذلك:

يقول موسى - عليه السلام - إن أخبار القرون الأولى وأحوالهم عند ربي، في كتاب محفوظ، ولا يضيف الله منه شيئاً، ولا يبني منه شيئاً كذلك، وتقدير حرف الجيم يخل هذا المعنى، لأن الفاعل لا يكون واحداً مع أن الفعلين من واد واحد كما يدل عليه السياق، ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾، أي ولا ينسى ربي، هذا هو المبادر.

أما عن ما ذهبوا إليه، فسيكون الفاعل للفعل الأول عائداً على الكتاب، أي لا يضل الكتاب عن ربي، والفاعل للفعل الثاني: ينسى عائدة على الله، وهذا تفكيك للنظم، وتفتيت للسياق، حري بنا أن ننوه القرآن الكريم عنه.
7 - قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول ﷺ بينكم كدعاء بعضكم بعضما﴾ (النور 32).

والحرف الذي قدره في هذه الآية الكريمة (على)، ومعنى الآية عندهم:
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعض.

ولعل ما يدعو إلى العجب أكثر من غيره ما زعموه من حذف في آية النور حيث قالوا: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم على بعض.

ووهو التقدير: يفترض فيه أن المجتمع المسلم مجتمعاً تقاطع وكراءة فليس فيه إلا أن يدعو كل واحد على الآخر، وكان الرسول عليه وآله الصلاة والسلام وهو الرحمة المهداة، والنعم الحمرة - وما رسلناك إلا رحمة للعالمين أقول: كان الرسول الكريم ﷺ ليس من شأنه إلا أن يدعو على الناس.

إذا تقدير هذا الفرح لا أقول يذهب رونق النظم فحسب، ولا أقول يفسد به المعنى فقط، وإنما هو بعد ذلك كله يتنافض ويتنافى مع ما كان يتصرف به النبي الكريم ﷺ من رحمة وحبة من جهة، وبين ما كان عليه المجتمع المسلم الأول من جهة أخرى. كيف وقد قال الله تعالى ﴿الله ﻭالذين معه أشدوا على الكفار رحمة بينهم﴾ (الفتح 29).

فهل يتناسب هذا مع الحرف الذي قالوا بحذفه؟ اللهم: لا ومعنى الآية الكريمة:

أي: لا تجعلوا دعاء الرسول حينها يدعوكم كما يدعو بعضكم بعضًا،
أي إذا دعاكم الرسول ﷺ فلا بد أن تلبوا دعاه، ولا يجوز لكم بحال ما أن تجعلوه كدعاء بعضكم لبعض.

فإضافة الدعاء إلى الرسول ﷺ من إضافة المصدر لفاعله، وقد يكون المعنى: لا تدعو الرسول ﷺ وتناديه كما يدعو بعضكم بعضًا ويناديه. وإنما
ينبغي أن نعظموه حين دعاكم ونداءكم له فتكون إضافة الدعاء إلى الرسول ﷺ من إضافة المصدر إلى مفعوله.

وعلى التفسير الأول تكون الآية حثاً للمؤمنين أن يستجيبوا للرسول إذا دعاهم. وعلى التفسير الثاني تكون الآية حثاً للمؤمنين كي يعظموا الرسول ﷺ إذا دعوه ونادوه.

وعلَّ كلا التفسير لا نجد مكاناً للحرف الذي أدعوه مزدوجاً.

- وقد قدروا الحذف في قوله سبحانه ﷺ: "وجَبَّرَنَا الأَرْضَ عِينًا قَالُوا إِنَّ السَّمَاءَ عَلَىٰ أَمَّرٍ ٍفَدْتُوهُ" [القمر: 12]، ولكنهم هنا افتتوا في تقدير هذا الحرف، فتارى قالوا: إن المعنى وفجرونا من الأرض، فالمحذوف (من) وأخرى قالوا: إن النظام وفجرونا الأرض بعيون، فالمحذوف هو الباء، ويعنّ الله أنه لا هذا ولا ذلك.

ولو إننا وقفاً مع سياق الآية الكريمة، لدركنا أن السياق والمعنى بابان.

هذا الحذف، الآية جاءت حديثاً عن الطوفان حينها دعا نوح ربه آي مغلوب، فانتصر الله ﷺ: "فَنَزَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ مَسَّهَا مَهْرِىٰ وَّجَبَّرَنَا الأَرْضَ عِينًا" [القمر: 12]، إن السياق يدل على تهويل الأمر، وكيف كانت السياق كلها أبواباً، وكيف كانت الأرض كلها عيوناً، إن القول بالحذف سواء كان "فجرونا من الأرض عيوناً" أم "فجرونا الأرض بعيون" لا ينسجم مع ما يريد القرآن، ذلك لأن ما يريد أن يبينه القرآن الكريم، إن الماء كان يعم هذا الكون سياً وأرضًا، فليست هناك عيون خاصة فجرت من الأرض أو فجرت بها الأرض.

ولعلك نعجب إذا عرفت أن عشاق الزيادة وقفوا عند قوله سبحانه ﷺ: "فَجَرْنَا فِيهَا مِن العِيْونِ" فقدروا أن هنا حزفاً رائعاً وهو من، ولو أنصف هؤلاء وأولئك لوقفوا مع النص القرآني فيها يرشد إليه، وفي سياقه الذي يتفق
مع نظمه، ولذكر أن لا حذف في الآية الأولى، لأنها جاءت في سياق الحدث عن الطوفان، وأن لا زيادة.

9 - واخيراً نقف مع قوله سبحانه وتعالى: "فكيف تنقون إن كفرتم يوماً يجعله الوليدان شبيهًا" [المزمجر 17].

ولقد أبدا إلا أن يجعلوا حرفًا مخفوضًا كذلك في هذه الآية، ونظم الآبة عند هؤلاء، كيف تنقون إن كفرتم بيوم.

ولا أدرى كيف يمكن أن يتم المعنى على هذا التقدير، وهل من كفر باليوم الآخر يمكن أن يويح على عدم التقوى، وهل بعد الكفر ذنب، ذلك معنى نفخر منه الطبع والذوق، والمعنى المتبادر من الآية الكريمة: كيف تنقون يوماً عظيماً، وتخليصون أنفسكم مما فيه من هول، إن اخترتتم الكفر على الإيمان؟ فكون يوما مفعولا لتنقون.

واكتفي بهذا القدر. والحق أنهم أسوروا كثيرا في إقحام الحرف بين الزيادة والحذف، والذين يندبرون آي القرآن الكريم سيجدون من روعة النظم ما تزكبه نفوسهم، قد يذكر القرآن الكريم حرفًا في آية وحذفه في أخرى، ولكن من الحذف والزيادة موقعة وموضع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
كشاف المراجع

1. الأزهر، مجلة الأزهر - ابتداء من عدد شوال 1386 هـ.
2. الاسترباشي، رضي الله بالاسترباشي - شرح الكافي في النحو - دار الكتب العلمية - بيروت.
3. التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعي - تاريخ العلما النحويين من البصرين والكرديين وغيرهم - تحقيق د. عبد الفتاح الجعفي - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - 1401 هـ.
4. الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل - الفتوحات الألفية - يتوضيح تفسير الجلالين للدقات الخفية - مطبعة الخليل بحمص.
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار المدى للطباعة والنشر - لبنان.
6. أبو حيان، أبو حيان الدمشقي الغرناطي - البحر المحيط - طبعة 1/1 سنة 1328 هـ - مطبعة الساعدة بحمص.
8. الرازي، التفسير الكبير - الطبعة الأولى - طبع عبدالرحمن محمد ميدان الأزهر بدمشق.
10. رضا، محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الكريم الشهير بالمتاز - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية.
12. الزركلي، خير الدين - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة 1379 هـ.

14 - الزمخشري، الكشف عن حقائق غواصات التنزيل - الطبعة الأولى - مطبعة الاستقلال - القاهرة - 1365هـ/1946م.

15 - الصحان، محمد بن علي الصبان، أبو العفران - حاشية الصبان على شرح الأشموني على آلفية ابن مالك - ملزنم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباهلي الخليبي وشركاه بصر.

16 - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن - الطبعة الأولي - المطبعة الكبرى - بولاق - مصر المحمية 1323هـ.

17 - أبو بخجة، معاصر بن المتنى - مجاز القرآن - الطبعة الأولى - مكتبة الحكيم بصر.

18 - العكبري، أبو البياء عبدالله بن الحسين العكبري - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن - دار العلم للجميع.

19 - القراء، معايي القرآن - عالم الكتب بيروت - الطبعة 2 سنة 1380هـ.

20 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة 1372هـ/1953م.

21 - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزركني - زاد المعاذ في خير العباد - تحقيق شعيب الأرناؤوط - ط1 - 1399هـ/1979م - مكتبة المنار الإسلامية.

22 - ابن عيش، موفق الدين يعيش بن علي بن عيش النحوي - شرح المفصل عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبي - القاهرة.

23 - الهروي، الأزهري في علم الخروف - تحقيق عبدالمعين الملوح - مطبوعات جمع اللغة العربية/ دمشق سنة 1402هـ/1982م.

24 - لاشين، الدكتور عبد الفتاح لاشين - الفاصلة القرآنية (من أسرار التعبير القرآني) - دار المريخ للنشر - الرياض.